# همس الظلام

رواية

إسلام عبدالله

بورصة الأدب

ساحر الكتب

المجموعة الدولية للنشر والتوزيع

# همسُ الظلامِ

بسم الله الرحمن الرحيم

بورصة الأدب


إسم الكتاب: همسُ الظلامِ

اسم المؤلف: إسلام عبدالله

الناشر: المجموعة الدولية للنشر والتوزيع

مدير النشر: تامر عطوه

التنسيق: حسين الحماقي

رقم الايداع: 2020/22704

الترقيم الدولى: 978 - 977 - 6201 - 96-5

المجموعة الدولية للنشر والتوزيع

العنوان: 7أ ـ القبة ـ روكسى ـ مصر الجديدة ـ القاهرة

هاتف: 01006665220 - 01099998240



يمنع طبع هذا الكتاب أو جزء منه بكل طرق الطبع

أو نقله أو استنساخه إلا بإذن خطى من الناشر

إسلام عبدالله

# همسُ الظلامِ

رواية

((لا تَقرأْ هذا الكتاب))

# ((لا تَقرأْ هذا الكتاب))

((إذا قُمتَ بقراءته الآن رغم تَحذيري لكَ.. فنَصيحتي لكَ ألا تُمزِقه ولا تُغرِقه ولا تُحرِقه.. بل أرسله إلى شَخصٍ غيركَ ليَتحمل إثمك ووزرك كما حَملتْ أنتَ وزري وإثمي مِن قبل.. سوف تُدرك في النهاية أن الفضولَ قاتلٌ.. سوف يَقلبُ الحقُ أمامكَ إلى باطل.. لذا أتمنى للمرةِ الأخيرة أن تَجعلكَ كثرة تَحذيراتي تلك مُرتابًا وتَدع عنك قــراءة هـــذا الكتــاب))

((يبدو أنك ما زلت مُصرًا على العِنادِ حتى بعد كل تلك التحذيرات..
في النهاية لن تَتعلمَ ما لم تَتألم))

**(النجاحُ كَجبلٍ له قِمتان، الصعود إلى القمة**
**الأولى مُرهقٌ والسقوط مِن الثانية مُدوٍ)**

كان وضعًا مُربكًا غَريبًا لم أعتدْ عليه بهذا الشكل أبدًا.. الصَخبُ والهَمهماتُ وانعكاسُ الأضواء مِن عدساتِ الكاميرات والإرهاق مِن كثرة الأسئلة المُكررة عليّ بشكلٍ أو بآخر وآلام ساعدي وأصابعي مِن كثرة التوقيعات المُقَولبةِ التي أحفظها، كلها أمورٌ كنتُ ألفتُها وعايشتُها من قبل كثيرًا، ولكن الوضع الآن مُغاير تمامًا.. المَقاعدُ الفارغةِ مِن جالسيها، نُسخ الكتبِ المُكدسة أمامي، نَظرات خيبة الأمل التي تَرتسمُ على وجوهِ مَالكي المكتبة التي تَحتضنني، كل تلك الأمور لم تَحدُثْ مَعي مِن قبل.. أنظرُ إلى الساعةِ الضَخمةِ أمامي وهي تَأنُ مِن كثرةِ المَلل المُصاحب لجَلستنا تلك لأجدها قد تعدتْ السابعة بنصفِ ساعة.. إذن الوقت لم يُعدْ مبكرًا علي الحضور.. على الرغمِ مِن حضور الجمهور دائمًا قبل مَوعده بوقتٍ طويل.. إذن مِن المُحتمل أن يكون هناك خطأ ما بتفاصيل الحفل.. يَجبُ أن يكون هناك خللٌ في المكان أو الزمان.. بالفعل هناك خلل ما.. سَحبتُ هاتفي مِن على المِنضدةِ أمامي وفتحتُه مُسرعًا وظللتُ أقلبُ بصفحاتي على مواقع التواصل الاجتماعي وقرأتُ تفاصيل الحفل بتَمعن شديد ولكن لم أجدْ أي خلل ما.. المكان مُطابق والزمان مُناسب في السابعة مساءً.. إذن لماذا؟!!..

لماذا حفل توقيع صدور كتابي الجديد فارغ هكذا.. هذا لم يحدثْ أبدًا على مدار عقد مِن الزمان.. أصدرتُ خلاله سبعة أعمال كلها كُللتْ بالنجاحِ الشديدِ والمَبيعات الضَخمة.. الفَتيات والشباب المراهق الذي كان يَلتفُ حولي في المكان ويُلاحقونني أينما ذهبتْ أين ذهبوا.. أيعقل أن يَصدقَ حديث أحد النُقاد عندما اتهمني بأني أقدمُ أعمالًا تُناسبُ المُراهقين فقط وسوف يعزفون عني عندما يَنضجون قليلًا، عَقدٌ مِن الزمانِ كَافٍ بالفعل أن يَجعل مِن الصبي شابًا فتيًا.. أنه مِن الممكن حدوث هذا ولكن يجب أن يَعقب تلك الأجيال مراهقون جُدد سوف يُعجبون بأعمالي هم أيضًا لعقدٍ جديدٍ مِن الزمانِ وهَلمّ جرا.. ولكن لماذا لم يَحدثْ ذلك!!.. هل المُراهقون الجدد هؤلاء لا يهتمون بالقراءة أم ماذا؟!!.. هل العيب بيّ وبكتاباتي أم العيب مِن هذا الجيل الجديد الذي لم تعد القراءة مِن اهتماماته؟.. هل ستَنقرض القراءة أمام ذلك الغزو التُكنولوجي الجديد؟.. هل سوف يَنقرضُ الكتاب كَوسيلة تَواصل الشباب مَع العالم بعد ذلك؟.. هل سينقرض كل ما يَخصُ تلك المهنة مِن دور نشر وكُتاب ومُدققين لغويين ومُنسقين ومُصممي أغلفة وخلافه؟.. لا أعتقدُ ذلك.. فلقد صَمدتْ القراءة مِن بدء التاريخ الحديث عندما كانت تُمارس على شكل رسومات مَكتوبة فوق جدران الكهوف منذ فجر التاريخ، وصَمدتْ أيضًا أمام الفيضان التُكنولوجي العملاق الذي غمرها على هيئة أمواجٍ إذاعية وسينمائية ومِن ثم تلفزيونية حتى ظهور الأقمار الصناعية وغزو الفضاء واقتحام كواكب أخرى.. صَمدت القراءة أمام كل هذا، وستَظل تَصمدُ في المستقبل أيضًا،

فالقراءة والكتابة عاملان ثابتان لنجاحِ أي حضارة على مر التاريخ ولا غنى عنهما أبدًا.. إذن الخلل ليس وجودي كما كنت أتخيل.. لكن العيب في النهاية سوف يَظلُ مُلاصقًا بيّ، هناك شيء غير طبيعي يَحدثُ معي، أو أنه طبيعي وأنا الذي كنت أنكرُ وجوده حينها وأتصنعُ عدم رؤيته. إنه تعاقبُ الأجيال ولعبة الكراسي الموسيقية، فالنجاح والوصول إلى القمة لهما رصيد زمني مُحدد وعند انتهائه سوف تُقذفُ مِن على مقعدك ليَحُل غيرك مكانك.. هذه سُنة كونية الجميع يَعلمُها ويُشاهدها تَحدثُ بشكلٍ شبه يومي أمامه فهي حقيقة ثابتة حتمية وجوبية كَالهرم وتَلاشي القوة والجمال وَالموت أنا أعلمُ هذا جيدًا ولكن أن تعلم بوجود شيء فرضيًا ليس كما تُعايشه بنفسك.. فالكل يعلمُ بوجود الفيروسات والبكتيريا، ولكن يَشقى بالآلام عندما تَسكنُ بداخله وتُزمجر بعنفٍ مُعلنة عن نفسها.. وها أنا أيضًا أشقى بعدم تَقبُلي بهذه السنة الكونية لتَعاقب الأدوار، وسحب النجاح مِن أسفلِ الأقدام فبالفعل إن كانت دامت مع غيري ما كانت قد وصلت لي أبدًا.. ولكن لم يُفدني هذا الدرس الكوني هنا نهائيًا لم يَمنعني مِن السقوطِ بفخِ الإحراج الذي أمر به الآن، ولم أصادف مثله في حياتي.. نظرات مَن حولي وأحاديثهم الهامسة المتأففة تَزدادُ وتيرتها ولم يَستطيعوا أن يُخبئوا مَكنونهم أكثر مِن ذلك حيث تَرامى إلى أُذني صوت شخص خلفي يَتحدث إلى صاحب المكتبة بضيقٍ وحنق..

"أخبره أن يُخلي القاعة فلن يأتي أحدٌ إليه فقد أفلَ نِجمه منذ زمن بعيد كما أخبرتكم مِن قبل والكاتب الألمعي الشاب حيدر درغام سوف يأتي بعد قليل وسوف تَمتلئ هذه القاعة عن آخرها ويجب أن

نَستعد لذلك".

ابتلعتُ كلماته بمضضٍ رغم مَرارتها بحلقي ولملمتُ كرامتي المُبعثرة.. وابتسمتُ وأنا أجمعُ حاجياتي وأحاولُ أن أتحكمَ بعرقي الغزير الذي كسا وجهي وتعلقتُ بهاتفي وأخذتُ أنظرُ إليه قليلًا ثم تَحدثتُ إلى مَسئول الحفل محاولًا أن أبررَ له انصرافي المبكر لكثرةِ انشغالي، ولكنه أخذ يَهزُ رأسه لي بلا مبالاة، ويبدو أنه لم يَحتجْ مِن البداية أن يَستمعَ إليّ. نظرتُ أرضًا محاولًا تحاشي النظر بعينِ أحدهم فتَنعكس مِن خلالهم نظرات الشفقة أو التشفي أو حتى الإتعاظ مِن حالي.. فأنا لن أستطيع أن احتمل أي نظراتٍ مِثل تلك أبدًا فلم أعتد إلا على نظرات الفخر أو الذهول والغيرة الحارقة.. لم أستغرق وقتًا طويلًا للخروجِ مِن المَكتبة التي كانت بالنسبة لي أمرًا روتينيًا أجلسُ على قمةِ العالم مِن خلالها لبضعةِ ساعات وتَحولتْ في يومٍ وليلةٍ إلى مَقبرة لا أستطيع التَنفس فيها. كنت سأختنق إذا ظللتُ بداخلها لعدةِ دقائقٍ أكثر مِن ذلك.. وقفتُ أمام سيارتي مَذعورًا أريدُ أن أنصرفَ مِن هنا بأسرعِ وقت مُمكن. فَتحتُ باب السيارة بعنفٍ لكنه لم يُفتحْ، حاولت أكثر مِن مرة ولكن لم أستطع نهائيًا ومِن ثم تذكرتُ بأن الباب مُغلق إلكترونيًا.. فتشتُ بداخل ملابسي سريعًا أبحثُ عن مفتاحِ السيارة ولكن لم أجده أبدًا.. وهنا وجدتُ شخصًا يَركضُ ورائي وهو يُنادي عليّ، فالتفتُ إليه لأجده موظف المكتبة يَحملُ مفتاح السيارة ويعطيني إياه وهو يَبتسم ويُخبرني أني قد نسيته فوق المنضدة التي كنت أجلسُ عليها تَلقفته سريعًا وأنا أتصنعُ ابتسامة صفراء تُخفي ما حلّ بي مِن ارتباك مُصاحب لإحراج جديد.. فتحتُ

السيارة سريعًا ودلفت بداخلها وانطلقتُ بأقصى سرعة..

كان الجو حارًا خانقًا والشمس بأشعتها اللزجة تُطاردُ وجهي بأي جهة أختبئ بها ولم تُغنِ عني أي تدابير احترازية أتصنعها للخلاص منها..

التأفف..

الضيق..

الحنق..

وجميعُ الأفكار السلبية تَتملكني الآن.. لا أجد ما أُفَرِغ به جم غضبي فلست مُدخنًا شرهًا لكي أنفثَ دخان الحقد بداخلي مِن خلال قبضات التبغ المُميتة، ولا حتى بالشخص البلطجي صاحب السطوة لكي أفتعل معركة وهمية مع أي شخص عشوائي أمامي وأكيلُ له اللعنات المُصاحبة للكمات.. وزوجتي اللينة الطيبة التي تَغمرني بحبها وكرمها دائمًا جعلت مِن رابع المستحيلات أن أقوم بالنظر إليها بنظراتٍ حادة فقط فما بالك بالصُراخِ عليها.. حتى سيارتي التي انتابتني نوبة حمق للحظات وودتُ أن أضربَ مِقودها بقبضاتي ولكنِ تراجعتُ عن هذا الأمر سريعًا فإذا حدثت أي تلفيات بتلك السيارة الآن فلا أعتقدُ بأن لدي المَقدرة لكي أقوم بإصلاحها.. فأنا على حد الكفاف دائمًا، وهذا ليس مصيري أنا وحدي فهذا مصير كل مُعانقي الفن بكل أشكاله ببلدٍ لا يعترف بالفن إلا إن كنت مُمثلًا مشهورًا فقط.. حينها سوف يُوضع على ظهرك صك الفن وتُتعتّ بالفنان هذه صورة الفن الوحيدة لديهم ولا معنى آخر لأحد دون ذلك.. لم أجد أي وسيلة للتنفيث عن غضبي سوى أن أصرخ

بعلو صوتي وأنا بداخل السيارة وبالفعل فعلت ذلك ومَلأت الدنيا صُراخًا وعويلًا، ولكنِ كففتُ عن ذلك سريعًا عندما تَخيلتُ مشهدي وأنا أصرخُ بمفردي بداخل السيارة لمن يراني مِن الخارج فسوف يَنعتني بالجنون، وقد أكون سعيد الحظ ويَلتقط لي أحدًا ما صورة وأنا على هذا الوضع لأكون مصدرًا لسخرية مواقع السوشيال ميديا عدة أيام، ويصنعون النِكات والمُزحات على صوري الشخصية التي أحرص أشدَ الحرص على أن أكون بكامل وقاري مِن خلالها، فأصبح أضحوكة ومَصدرًا للهمزِ واللمزِ طوال تلك الأيام حتى يَصدر أمر جديد يُشغلهم عني، ولهذا توقفتُ في الحال عن ذلك وأنا أتلفتُ حولي كَاللص أرى مَن يَختلسُ إليّ النظرات مِن هنا أو مِن هناك ولكن لحسن الحظ كان الجميع مشغولًا بأموره ولم يَعبء أحدٌ بما يحدث لي.. أرأيت ما آل إليه حالي.. لم أستطع حتى أن أخرجَ غضبي على هيئة صيحات استهجان أو سباب أو عراك كرجل الشارع العادي لأني مِن المُفترض شخص مَعروف لفئة ما ليست بالقليلة وليست بالكثيرة أيضًا.. فيجب على مُتصدري الشأن العام أن يتخلوا عن حقوقهم الشخصية رويدًا رويدًا طرديًا مع معرفة الناس بوجوههم وإنتشار أسمائهم أكثر فأكثر..

عدتُ إلى منزلي دون أن أدري كم استغرقت مِن وقت، فوجدت حارس العقار يتلقفني بوجه مُبتسم لحوح يكاد ينطق بأن أفرغ ما في جيبي كنوع من الحلوان بسبب نجاح حفلة توقيعي المعتادة.. نظرت إليه مبتسمًا وأنا أحاول كظم غيظي وهو يستدر عطفي ويُغدقني بكلمات المديح البلهاء الجوفاء التي ليس لها معني والتي

أصبحت نياطًا تُمزقني الآن عكس السابق عندما كنتُ ارتشفُ من تلك الكلمات وأسكر بها بسبب خمر نجاحي أما إذا غابت السكرة وجاءت الفكرة فأصبح لكل شيء ميزان معدول وتكشف كل شيء بوضوح، فهو يتملقني لكي يَتحصل على أموالي بدون حق، ولهذا قررتُ بالحال أن أصبَ جمَ غضبي عليه وبدل من أن يَسلبني نقودي يجب أن أجعله يُحلل الأموال التي يَتقاضها مني بالفعل، فقمتُ على الفور بإلقاء مفاتيح السيارة بين يديه وأنا أخاطبه بلهجة آمرة قوية..

"السيارة متسخة للغاية.. لماذا لم تقم بغسلها أسبوعيًا كما أمرتك.. بدلًا من أن تجلس على هاتفك وتتصفح مواقع التواصل الاجتماعي وتتلصص على أخباري أولًا بأول.. كان من الأجدى أن تتقي الله في عملك وتمارسه على خير وجه.. هيا كف عن تكاسلك الآن واغسل السيارة جيدًا.. أريدها مثل الجديدة بظرف دقائق.."

ثم أدرت له وجهي غاضبًا وغادرت تاركًا إياه ساهمًا واجمًا مِن رد فعلي المُغاير لما عاهده مني.. تنهدت بقوة وأنا أخرجُ مِن مصعد البناية وأنا في حيرة من أمري.. هل أُعلم زوجتي بحقيقة ما حدث معي أم أخفي عنها الأمر واتصنع الرضا والفرح أمامها.. لم يُسعفني تفكيري في الاختيار ما بين الأمرين ودلفتُ إلى المنزل، فتطرقت إلى أنفي رائحة زكية جذبتني إليها.. أنها رائحة محببة للجميع.. رائحة كعك البرتقال.. إنها عادة زوجتي بالإحتفاء بنجاح أعمالي أو حدوث أي أمر مُفرح لنا بشكل عام فتقوم بملء بطوننا مع قلوبنا من طعامها اللذيذ.. ابتسمت رغم عني عندما شاهدت طفليّ وهما يستقبلاني بالقفز والصراخ وهما يَتعلقان بأقدامي فرفعتهما بين

يديّ وأنا أقبلهما بحب شديد فلا يوجد بهذا العالم كله أفضل من ابتسامة طفلك عند رؤيتك.. قَبلتهما بمحبة وداعبتهما عدة دقائق حتى وصلتْ زوجتي لتَستفسر عما حدث معي، وحينما رمقتني استطاعت أن تعلم بما يَجُولُ بنفسي دون أن أتكلم، فصُحبتها الطويلة لي جعلتها مُتمرسة بعلم الفراسة والمشاعر الزوجية فلم تتحدث إلي وسألتني فقط عن رغبتي بتناول الغداء ولكم كانت نفسيتي لا تسمح بذلك حينها، ولكن حينما تطرقت إلى أنفي رائحة المخبوزات المُصاحبة برائحة البرتقال الشهي وَجدتُ مِعدتي بدون وعي مني تُزمجر جائعة، فقبلتُ دعوتها الكريمة لتناول طعامها الشهي الذي يُسعد القلب الحزين على قول العوام من المصريين. تناولت الطعام مُتناسيًا أصول الأناقة واللباقة حتى أصبتُ بالتخمة فجلستُ على الأريكة أحاول أن أطرحَ عن جسدي خيبة الأمل التي أصبت بها خلال اليوم. شاهدتُ التلفاز بلا مبالاة فجلست بجواري زوجتي بعد أن ذهب الأولاد في سباتٍ عميق وتَجاذبنا الأحاديث بيننا فشرحت لها جُل ما حدث معي هذا اليوم الذي كان نهاية عدة مُؤشرات كثيرة كانت تُحاوطني في الفترة الأخيرة تَدل على أفول نجمي.. حاولتْ زوجتي أن تخفف عني وتُخبرني بأن هذه الأمور نتاج مُخيلتي فقط، ولكنِ كنت على ثقة مما أقوله فلقد شاهدت ما يحدث معي حدثَ لكُتابٍ من الجيل السابق لي مِن قبل، وأصبحوا الآن مِن الماضي بعد أن أفل نجمهم واندثر وأنا أسير بنفس طريقهم السابق دون أي تغيير يُذكر.. وتلك كانت مصيبة ما بعدها مصيبة فالنجاح له طعم حلو بالفم لا تَستسغْ طعم مرارة الفشل بعده أبدًا.. وعددت لها هؤلاء

الكتاب وما شاهدته مِن تقاسم نفس المصير معهم، وهنا وجدت ابتسامة عريضة تَرتسم على وجه زوجتي مُصاحبة لبريق النصر وهي تَقفز مِن الأريكة بحماس..

"ألم أخبرك أن هذا الأمر نتاج خيالك فالكاتب محمود إسماعيل مسعود الذي عددته مع زملائه البائسين وأخبرتني أنه قد أفل نجمه لقد أصبح مِن أفضل الكتاب مبيعًا هذه الأيام وتَجده ضيفًا في جميع اللقاءات التلفزيونية هذه الأيام للحديث عن أعماله "..

هنا ضحكتُ ساخرًا على حديثها الحالم هذا، فالكاتب محمود إسماعيل مسعود هذا كان أكثر كتاب جيله موهبة وغزارة إنتاج، وعلى الرغم من هذا لم يَعدْ يُحقق أي نجاح يُذكر منذ عدة سنوات، وأصبح نسيًا مَنسيًا فلقد عاينت هذا بنفسي ولكم أخبرني بأنه لا يَجد ما يسد به رمق أسرته مِن طعام وكنت من حين إلى آخر أرسل له بعض النقود لمساعدته، ولم تَجد زوجتي سوى هذا التعيس لكي تضرب مثلًا لي به. لم أستطع أن أخفي سخريتي منها بضحكاتٍ عالية مُستفزة، وهنا تلاشت تلك الضحكات أمام ابتسامة الثقة التي أبدتها لي، وهي تُمسك هاتفي وتفتحه أمامي وتضغط على بعض الكلمات ومن ثم دَستْ الهاتف بين يدي فنَظرتُ إلى الشاشة بفضول لأجد مَن..!!

الكاتب التعيس المنحوس محمود إسماعيل مسعود بمقطع على الإنترنت، وهو يتحدث إلى مذيعة مشهورة بقناة فضائية من أعلى نسب المشاهدة بالوطن العربي وهو يرتدي ملابس فخمة، وقد قام بصبغ شعره وتعلو وجهه علامات الثقة والزهو وهو يتبادل الضحكات مع المذيعة. احتلتْ علامة الدهشة ملامح وجهي وسط ضحكات

الانتصار الصادرة مِن زوجتي. لم أصدق ما شاهدته بالبداية وأخذتُ أدقق بملامح هذا الشخص لأجده بالفعل هو محمود إسماعيل بملامحه الدقيقة، ونحافته المثيرة للجدل. بحثت عن التاريخ سريعًا لكي أتأكد بأن هذا الفيديو ليس قديمًا مِن أيام مجده السابقة على الرغم مِن عدم توافر مواقع تواصل اجتماعي مُنتشرة بالسابق مثل الآن، ولكن لعل وعسى، وهنا تفاجأت بأن الفيديو يَعود إلى أقل مِن ثمانية أيام مضت. شاهدتُ اللقاء سريعًا وأخذتُ أبحث عن اسمه في كافة مواقع الإنترنت، وهنا وجدتُ له العديد مِن الأخبار والفيديوهات الحديثة. لقد أثار هذا الأمر اندهاشي كيف لشخص قد خفتتْ عنه الأضواء، والنجاح قد خاصمه لفترة طويلة ويستطيع أن يعود من جديد لأوج مجده.. تحدثت إلى زوجتي مُتعجبًا عما آل إليه هذا الكاتب. وهنا تقمصتْ دور مُدربي التنمية البشرية وانطلقتْ بمحاضرةٍ تُخبرني خلالها على أن بقاء الحال مِن المُحال وأن الحياة عبارة عن سفينة وسط أمواج عارمة أوقات تكون هادئة، وأوقات أخرى تكون مُتخبطة وسط عواصف بغوائم مُلبدة وأن ما أصابني منذ عدة أشهر ختامًا إلى اليوم هو مجرد كبوة لفرس جموح وسرعان ما سوف يتغير الحال إلى الأفضل بلا شك.. على الرغم مِن عدم اقتناعي اللحظي بجدوى حديثها، ولكن عند مُشاهدتي لحال محمود إسماعيل الجديد إذا من الممكن أن يكون حديثها بالفعل صحيحًا.. مر اليوم سريعًا وعدت أيام أخرى امتدتْ إلى أسابيع ومِن ثم تَحولتْ إلى شهور حتى مر عامان إلا قليلًا.. أصدرتُ خلالهما كتابًا ومجموعة قصصية ولم تحققا أي نجاح يُذكر، وبالطبع لم

يكن هناك مُستحقات مالية لأعمالي السابقة، ولن يكون هناك مِن أعمالي اللاحقة واضطررتُ أن أصرف على عائلتي مِن أرصدتي السابقة وكانت الأحداث التي تستوجب سحب الأموال مِن مَحفظتي كثيرة وغير مألوفة.. مرض أصابني بمعدتي استوجب عملية صعبة أقوم بها دفعت الآلاف مِن أجلها، سيارتي تحطمت بحادث سير مع زوجتي.. ارتفاع مصاريف الدراسة لأطفالي الثلاثة أضعافًا دون أي مبرر منطقي يُذكر، حريق نَشب بمحتويات المطبخ أتى على نصف أثاث المنزل وأشياء صغيرة أخرى تَستدعي أموالًا كثيرة لا داعي لذكرها، فكان الحال كما يقال أن المصائب لا تأتي فُرادى. أصابني الضيق والإحباط مِن تكرار عدم نجاحي، والغم والهم مِن ارتفاع ديوني مَع تدنٍ ملحوظ بصحتي، ولم أجد هنا كلمات زوجتي المشجعة التي كانت تَدعمني ولو بشكل معنوي خلال هذين العامين، ولكن لم تفعل العكس أيضًا بأن تُشعرني بذنب شيء لم أقترفه فاكتفتْ بالصمت.. الصمت التام.. طوال اليوم لا تتحدث معي سوى بضعة كلمات على الأكثر، ولكنها كانت على العكس تَنفجر في الأطفال بأقل كلمة يتحدثون إليها بها..أصبح الوضع سامًا قاتلًا للإبداع فلم أستطع أن أكتب أي شيء جديد بعد ذلك، ولم يكن باستطاعتي الخروج كثيرًا من المنزل حتى لا أتعرض إلى مصاريف إضافية مِن الوقود وإكرميات وإحسان للمُتواجدين في أي مكان يشاهدون به وجهي، فلقد أعتادوا مني على ذلك، فلزمتُ البيت لا أفعل شيئًا سوى مُشاهدة الأخبار المَقيتة ومُتابعة الأعمال الدرامية الضعيفة التي كَتبتُ أفضل منها مئات المرات، ولكن لسببٍ ما لا أعلمه لم تجد كتاباتي طريقها

وسط كل تلك الأعمال الدرامية القَميئة المُتكدسة بداخل التلفاز. كانت مُشاهدة تلك الأعمال بركاكتها تَجعلني أغلي مِن داخلي وأنا أندب حظي وقلة حيلتي مِن عدم مُواكبتي لهؤلاء. فتركت كل هذا ودلفت إلى الإنترنت أتحسس مَنظور الحياة مِن وجهة نظرات رواد مواقع التواصل الاجتماعي ولم يكن الأمر مُختلفًا كثيرًا عن خارجه، فما زالت الفتيات تَنوح مِن أوضاعهن، والشباب يَلعن حظه العاثر والعجائز يَندبن العمر الذي مضى بكل ما يَحمله مِن أخلاق وقيم مِن وجهة نظرهنّ. كان الوضع المُزري لمَن حولي يُشعرني بأني لست بمفردي الذي يُعاني مِن مُحاصرة الحياة له، ولكن كان لبعض الكُتاب الأصدقاء لي أمرٌ مُختلفٌ بعضهم أخذ يَتباهى ويَتفاخر بعدد مبيعاته الضخمة أو تحويل كتابه إلى عمل سينمائي نادرًا ما سوف ينفذ، فكانت أحوال هؤلاء الأوغاد تُشعرني بالغيرة الخانقة فمعظم هؤلاء لا يفقهون بالكتابة شيئًا مِن وجهة نظري وبالطبع أنا مِثلهم لا أفقه بالكتابة شيئًا من وجهة نظرهم أيضًا هذا شيء مُتعارف عليه لدى الجميع بين أبناء المهنة الواحدة، فكنت لا أخجل بأن أصفهم بهذا، وأن يترامى إلى أُذني آراؤهم بي، وكنت أجعل الأمر الفاصل بيننا هو عدد مبيعات أعمالنا، وآراء القراء بها وكنت أفوز بهذا الرهان دائمًا.. ولكن عندما تَحولت دائرة الاضواء مِن عليّ فقدتُ كل ثقتي بنفسي، وبدأت أميل بأني لا أستطيع الكتابة بالفعل.

ووسط كل هذا كله أكثر ما كان يُحطمني ويُدمرني بشكل كلي هو مُتابعة نجاحات محمود إسماعيل مسعود.. كيف استطاع أن ينتقل من نقيض الفشل إلى نقيض النجاح مِن جديد..

فما زالت أعماله تَتصدر واجهات المكتبات، وأخباره مُتناثرة على صفحات السوشيل ميديا والمواقع الإخبارية، وكنت أتعجب أشد إعجاب مما يحدث معه.. ولم أخف حُنقي هذا وأخبرتُ به زوجتي التي ألقت عليّ أمرًا بديهيًا لم يخطر ببالي قط..

وهنا صدمني تعليقها برأسي كصدمة كرة طائشة من قدم شاب مراهق.. بالفعل لماذا لا أستفسر منه عن تغير حاله العجيب هذا، ولكن كنت اخشى ألا يُخبرني عن سره، فأجابتني زوجتي بأني كنت مِن الأشخاص القليلة التي ساعدت محمود إسماعيل بمحنته.. وهنا أيضًا القتْ عليّ اقتراحًا بديهيًا، ولكن لم اقتنع به مِن قبل فيبدو بأن البشر لا يَقتنعون بأفكارهم الخاصة إلا بعد أن يُصدق عليها أشخاص آخرون، فلاقى حديثها إستحساني بالفعل فأنا قد قمتُ بمساعدته وكثيرًا ما كنت أعطيه أموالًا تشد أزره في أزمته، فمن الواجب الحتمي عليه أن يُساعدني بمحنتي الحالية، أنا بالطبع لن أطلبَ منه نقودًا، فأنا لن أتسول، ولكن إذا أراد أن يعطيني فلن أرفض.. لا.. لا.. لا أريد نقودًا.. أريد فقط أن يُساعدني بالنصيحة.. يُخبرني كيف فعل هذا وألقي بجسد الفشل المفتول العضلات من فوقه ووقف على قدميه مِن جديد وهذا ليس بالشيء الصعب.. تَهللت أساريري وعاد إلي نشاطي مِن جديد. فابتسمت إلى زوجتي وداعبتها بصفات العبقرية والجمال والغزل التي تَسقط أي إمرأه صريعة تحت حوافرها، وامسكتُ هاتفي في الحال وضغطتُ على شاشته أبحث عن رقم محمود إسماعيل ووجدته سريعًا وهممتُ بالإتصال به ولكن أصابني التردد للحظات.. هل الوقت مناسب الآن.. هل سيقوم بالرد

علىّ بعد أن أصبح مشهورًا مرة أخرى، هل سيكون مشغولًا بالكتابة أو النوم أو أي شيء آخر تعددتْ المبرارات أمامي لكيلا أتصل به وترددي ظهر على وجهي ولكن تَبدد بالحال عندما أومأت لي زوجتي برأسها مُشجعة لكي أكمل اتصالي، وهنا تشجعت وقررتُ أن أضغط على رقمه، ماذا سوف يحدث لي أكثر مما أنا به الآن.. وهنا تعالى صوت رنين الهاتف بأذني.. رنة طويلة وجافة.. كنت أشعر بأن كل رنة تأخذ وقتًا أطول مما كنت أعتاد عليه.. هل لهفة الانتظار تُطيل الزمن بالفعل أم أنه الملل الذي يجعل كل شيء يأخذ وقتًا أكثر مما ينبغي، لست أدري سوى أني أكره الاثنين بشدة..

"الووووووو.. الووووووو"..

هنا تنبهت إلى صوت محمود الحاد يُجيبني.. هنا انقبض قلبي وأنا أحاول أن أشدد مِن أزري..

"كيف حالك يامحمود.. أنا.."

قاطعني صوت ضحكه الساخر كالمعتاد..

"هل تعتقد بأني سوف أنسى صوتك يا صديقي، لا تقلق حتى إذا نسيته فاسمك فوق الهاتف يُزين شاشتها.."

ابتسمتُ على دعابته السمجة كالمعتاد وتناولنا السلامات والتهاني كثيرًا حتى ضَجرنا فبادرني بسؤالٍ سريع ومباغت..

"لم تُخبرني بعد ما سبب اتصالك بي يا صديقي.. هل ترغب بشيء ما مني!!"

سؤاله المباغت أربكني بالحال..

"أنا.. لا.. كنت أريد أن أطمئن عليك يا أديب وأهنئك على

نجاحاتك العظيمة تلك"

"أشكرك يا صديقي.. أنت تعلم بأن الأمر كان مُرهقًا.. فلقد عاينتَ بنفسك ما مررت به مِن صعوبات ومشاكل حتى أنعم علىّ الله بالنجاح مِن جديد"

هنا تحدثتُ إليه مباشرةٍ..

"أنا أمر الآن بما مررت به وأواجه سوء حظ وعثرات ومُنيت أعمالي الأخيرة بالفشل دون سبب وجيه وأستمر هذا الأمر لمدة عامين أو أكثر، فكنت أريد أن تُخبرني ماذا فعلت لكي تتخطى الصعوبات التي مررت بها لأتبع نهجك وأعود إلى مجدي مِن جديد"..

هنا شعرت بالإرتباك الواضح بصوت محمود وهو يَسعل..

"كح كح.. أنا.. أحم.. أنا.. سوف أخبرك بالصراحة يا صديقي.. أنا لم أقم بشيء فعليًا كل ما فعلته أني تَعاقدت مع دار نشر هي التي قامت بكل شيء مِن أجلي"

نظرتُ إلى زوجتي مُندهشًا وأنا عاقد حاجبي وأنا أنطق "دار نشر!!.. دار النشر هي التي صنعت لك كل هذا!!"

أجابني صوته مُرتخيًا.. "نعم.. دار النشر هي التي قامت بكل شيء، وهي التي حتى تُحدد سبل الدعاية وطرق ظهوري على القنوات الفضائية المختلفة وتُنظم حفلات التوقيع الناجحة لي"

هنا قامت زوجتي بالتحدث لي بصوت خافت.. "أخبره أن يُقدمك إلى تلك الدار"

نظرتُ لها مُترددًا للحظات ولكن تَشجيعاتها الهامسة لي طمأنت قلبي.. فتحدثت إليه بثقة "كنت.. كنت أتمنى يا محمود أن تقوم

بتقديمي وترشيحي لدار النشر هذه.."

هنا وجدتُ رد فعل غريب.. رد فعل أقرب إلى الهذيان.. صوت محمود غير مفهوم ويتحدث مع نفسه بسرعة.. ظننت أنه يتحدث مع أحد آخر في البداية، ولكن عندما تحققتُ مِن صوته فلم أجد معني لأي كلمة بل هي مُجرد همهمة مُبهمة.. جعلتني أشعر بالغرابة منه فقطعت حديثه هذا سريعًا.. "محمود.. هل أنت معي.. هل تتحدث مع أحد؟!"

"لا.. لا.. أنا معك.. أنا معك.. "

"أنا آسف لأني أطلب منك ذلك، ولكني مُحتاج بالفعل لأي مساعدة منك الآن، أخبرني هل تستطيع أن تُقدمني لدار النشر تلك أم لا؟"

صوت تنهيدة قوية خرجت من صدره المُلغم بدخان السجائر التي يبتلعها كما يبتلع الصغير حبات الحلوى.. "حسنًا.. هناك.. أمور يجب أن أشرحها لك قبل ذلك.. أن الأمر ليس كما يبدو"

أثارت كلماته فضولي.."ماذا تعني يا محمود.. أنا لا أفهم شيئًا.."

تنهيدة سريعة أخرى.. "ولن تفهم.. يجب أن أشرح لك الأمر في البداية.. لا أريد أن أتورط بهذا الأمر"

شعرت بالضيق من كلماته تلك، وارتفعت الدماء إلى رأسي.. أيرفض مساعدتي بعد مساعداتي الكثيرة له.

"حسنًا يا محمود.. أنا آسف لأني قد أزعجتك.. فلتنسى كل ما قلته لك "..

وهممتُ أن أغلق الهاتف لأجد صوته يَخترق أذني سريعًا..

"انتظر.. انتظر.. لا تُغلق.. أنت.. لن تفهم.. تعال إليّ في الغد سوف أشرح الأمر كله، وإذا رغبت بعد حديثي أن تتعاون مع دار النشر تلك فأنا سوف أساعدك "

لم أفهم مغزى كلماته غير المفهومة هذه، هل يريد أن يُساعدني أم لا؟، ولكني سايرت الموقف بالنهاية..

"في أي وقت يمكنني المرور عليك في الغد..؟"

"التاسعة مساءً سأنتظرك"

"حسنًا يا مبدع سوف أمر عليك في التاسعة إن شاء الله، ويجب أن تتوقع هزيمتك مرة أخرى بالطاولة "

ابتسم وبضيقٍ اجاب.. "هه.. سوف انتظرك يا صديقي"

ومن ثم أغلق الهاتف.. رد فعله المُتخبط أصابني بالتوتر. أخبرتُ زوجتي ملخص المكالمة فأجابتني بكلمات مقتضبة ناهية..

"غدًا سوف تفهم كل شيء منه.. وأنا أتوقع خيرًا لأنه إذا كان يريد التملص منك كان فعل هذا من البداية.. "

وكالعادة نزلت كلمات زوجتي كالثلج فوق جسدي الحار، فانتعشت ورُدت إليّ الروح من جديد، وشعرتُ بالإسترخاء ودلفت إلى السرير ونمت نوم طفل رضيع قضى حاجته وفاحت ريحته.

وأتى صباح اليوم التالي فجلستُ أرتب حديثي وأستجمع عدة سيناريوهات لقبول محمود إسماعيل مساعدتي أو رفضها، ووصلتُ بسيناريو منهم لشجارٍ معه والدخول بصراع بالأيدي والأرجل، ومنهم سيناريو آخر أشعل الدماء برأسي بعد أن اكتشفت مكيدة نصبها لي محمود لإحراجي أمام عدة أشخاص آخرين لينتهي الأمر بقتلي إياه

ومحاولة إخفاء آثار جريمتي معه والتخلص من جثته. لا تستغربوا من طريقة تفكيري، فرأس الكاتب هي محطة قطار رئيسية لتجمع ورحيل آلاف الأحداث بالعوالم الموازية التي لم تخطر من قبل على خلدكم. طردت تلك الأفكار المزعجة سريعًا من رأسي، وأنا أضحك على سخافة عقلي أحيانًا وتجهزتُ لمقابلته عقليًا وبدنيًا وبملبسي أيضًا عن طريق زوجتي الحبيبة وتَحركت خارج منزلي بالساعة السابعة والنصف مساءً بالضبط. تَبادلت نظرات باردة مع حارس العقار بعد أن انقطعت مِنَحي المُغدقة عليه، وأصبحت علاقتنا علاقة نفعية بحتة بعد أن كانت إنسانية بسبب انقطاع حبل الإنسانية من وجهة نظره ألا وهي إنقطاع النقود.. نظرتُ لسيارتي فوجدت أجزاء كثيرة منها مُتسخة لم يتم تنظيفها جيدًا بينما يجلس حارس العقار مُتململًا على أريكته يَنظر إلي نظرة المنتصر الفخور. كنت سأمنيه بالهزيمة وأكيل له السباب والصراخ لولا أني كنت بحالة من الهدوء النفسي لا أرغب بتحطيمها.. توعدته بالإنتقام في نفسي ودلفت لسيارتي مُسرعًا حتى لا أتأخر على موعدي، وانطلقت إلى منزل محمود وأنا قلق أفكر في عدة سيناريوهات جديدة وسرعان ما وجدتني متوترًا، فقمتُ بنفضِ كل الأفكار مِن رأسي وقمت بتشغيل بعض الأناشيد الدينية العذبة بصوت المنشد الإماراتي أحمد بوخاطر، وظللت أدندن وأردد كلماتها حتى وصلت الي مقصدي سريعًا. منزل محمود الذي على الرغم مِن غفو الزمان عنه ولكنه ما زال يمتلك أصالة وأناقة قديمة لم تَمسها يد البنيان القبيح الذي انتشر مؤخرًا.. قمت بتحية حارس العقار الذي يبدو عليه أنه نسى من أكون، ولكنه تذكر

بأني كنت أتردد كثيرًا على العقار فلم يسألني أسئلة حارس العقار المعتادة التي تخوله للحظات أنه أحد افراد النيابة وتركني أصعد في حال سبيلي.. تقدمت وأنا أتلو دعاء الصعود داخل المصعد المتهالك عسى أن يكون أجلي في هذا المصعد الذي يعمل منذ سبعين عامًا أو أكثر ويأن متألمًا كلما صعد شخص بداخله مِن جديد وضغطت على زر الدور الثالث.. وهنا أخذ يَصرخ المصعد كصراخ الأم الحُبلى في وقت وضعها وبعد معاناة وتوتر من أن يسقط بي في أي لحظة قام أخيرًا بنبذي من داخل أحشائه.. فخرجت أحمد الله على سلامتي وأنا أصدق النية على عدم الهبوط من خلال هذا المصعد فسوف أستخدم درجات السلم كما كنت أفعل دائمًا عند زيارتي لمحمود إسماعيل.. نظرت يَميني ويساري كما أفعل دائمًا فبهذا الطابق ثلاث شقق لهم نفس اللون وأنا أتذكر بأن محمود يسكن بإحداها يمينًا أو يسارًا، وهنا نظرت إلى اليمين لأجد اسم محمود إسماعيل فوق لافتة بجوار الباب ابتسمت وأنا أتقدم إليه، فمحمود لم يفعل هذا الأمر طوال حياته من قبل.. رمقت اللافتة سريعًا وأنا أبتسم ساخرًا وضغطت على جرس الباب الذي سرعان ما تم فتحه لأشاهده شيئًا لم أتوقعه اطلاقًا ولم أتخيل أبدًا أن أراه.. يقف أمامي خادم المنزل بزيه الرسمي.. هذا مشهد لم أره من قبل مع أي كاتب زميل لنا مهما كان مشهورًا.. فنقود الكتابة بالعالم العربي لا تجعلك ثريًا لهذه الدرجة، ولكن أن يصل محمود لهذه الدرجة من الثراء ليتحمل أجر خادم بزي رسمي مثل هذا كان أمرًا عجيبًا، جعلني مُتشككًا أن أكون أخطأت المنزل فنظرت إلى اللافتة سريعًا لأجد الاسم

"محمود إسماعيل مسعود".. لم يتركني الخادم لصدمتي سريعًا فاستوقفني بسؤاله "من أنت...؟!"..

هنا شعرتُ بالخجل وحاولت ألا احرج نفسي.. "اه.. أنا كاتب صديق الأستاذ محمود وكنت على موعد معه.. "

هنا لم يُمهلني الخادم فرصة لأكمل تعريفي بنفسي.. "نعم.. لقد عرفتك.. انتظر ثانية واحدة"..

ثم تركني واقفًا على الباب ودلف إلى داخل المنزل سريعًا.. رمقته مُندهشًا من فعله ومن عدم دعوته لي بالدخول وفكرت أن أدلف لداخل المنزل، ولكن قررت ألا أفعل إلى أن يدعوني الخادم للدخول، وحينها فسوف أبلغُ محمود بفعل ذلك الخادم الأحمق ليوبخه على الفور. ثوانٍ قليلة وعاد إلي الخادم ليقف أمامي وهو يُخرج مِن طياتِ ملابسه بطاقة سوداء ومكتوبًا عليها بالعربية والإنجليزية بلون أحمر مثير وأعطاها لي

"تفضل.. هذا هو الكارت الخاص بدار النشر وبه عنوانها.. اذهب إليهم في الغد الساعة الواحدة بعد منتصف الليل.. إنهم ينتظرونك.."

أمسكتُ الكارت مِن يده وأخذت أقلبُه بيدي مُتعجبًا.. "ماذا.. أقابلهم في الواحدة...!! هل هناك دار نشر تعمل حتى الواحدة؟!.."

هز لي رأسه "نعم.. هم ينتظرونك بهذا الموعد..؟"

نظرتُ له مُتعجبًا.. "ما هذا الذي تقوله!!.. أين محمود.. أخبره أني أريد أن أقابله "

وضع يده اليمنى على الباب مُتأهبًا..

"السيد محمود.. مريض ولا يستطيع مقابلتك الآن.. ولقد أخبرني

أن أقوم بإعطائك الكارت وقد فعلت "

شعرت بالإهانة مما يحدث ومن طريقة محادثة هذا الخادم لي. انتفض صدري غضبًا وكدتُ أفتكُ بالخادم ولكن عندما لمحت جزءًا من رأس محمود وهو يتلصص على محادثتنا من خلف أحد الحوائط هنا أدركت بأن ما يحدث الآن هو بأمر مباشر من محمود.. أمسكتُ الكارت بيدي وأنا أرغب بتمزيقه، ولكن تراجعت بالحال وأنا مُنكس الرأس من تهرب صديقي أو من كنت أعتقد بأنه صديقي من مقابلتي، فأعطيت ظهري للخادم الذي أغلق الباب سريعًا بعدها وهممت بالهبوط على درجات السلم وانا أكاد انفجر غيظًا.. لم أشعر بنفسي إلا وأنا اقترب من الحي الذي أسكن به.. لقد مر الوقت كالبرق فكنت أحاول بشتى الطرق أن أجد أي مبرر لما فعله محمود معي، فهو شخصية طيبة ومتواضعة ولم أعهد عليه مثل هذه الأمور من قبل وأيضًا إذا كان يريد التهرب مني من البداية، فلماذا جعلني آتي إلى منزله ولماذا أعطاني هذا الكارت.. هل ينوي أن يقوم بإحراجي.. هل سيقوم بمزحة عليّ بشكل ما.. بالتأكيد هذا سيحدث.. هل هناك أحد يقوم بتحديد موعد متأخر مثل هذا لمقابلة عمل!! إنها مزحة بالتأكيد.. إنه يسخر مني.. لم أجد حلًا سوى أن أفرغ ما بجعبتي مِن ضيق وحيرة مِن فعل محمود على زوجتي وأشكو لها عما يجول بخاطري حينها.. وهنا وللمرة الأولى منذ زمن بعيد لم تجادلني زوجتي واتفقت بموقفها معي على سوء فعل محمود تجاهي وهي تسبه وتلعنه وتتباكي على ثمن الوقود الذي أحرقناه والجهد الذي بذلناه بدون جدوى. أمسكتْ كارت دار النشر

المصنوع بجودة فارهة وبطريقة مثيرة تشدُ العين وبملمسٍ أقرب إلى المعدن الغريب، وهي تهز رأسها بأسى وتخبرني بصوت عالٍ بأنه ليس من المنطقي أن يكون هناك موعد مقابلة الواحدة ليلًا وبالطبع سألتني عدة مرات "هل سمعت الموعد من الخادم جيدًا.. هل أنت متأكد بأنه الواحدة ليلًا وليس ظهرًا!! "..

فأكدتُ عليها مرارًا وتكرارًا أني قد سألت الخادم مثلها بدوري وأجاب بنفس الإجابة.. الواحدة ليلًا.. وضعتْ الكارت على المنضدة أمامنا واستمرتْ تسب محمود وعائلته وجميع من يمت إليه بصلة في يوم من الأيام.. ثم قامت بالربت على كتفي ومواساتي بكلماتها الرقيقة الحانية لخمس عشرة دقيقة متواصلة نجحت خلالهم بتغيير حالتي النفسية، وطلبت مني أن أذهب الي النوم ولكنِ اخبرتها بأن تَسبقني وسوف ألحق بها فيما بعد وجلست على الأريكة أشاهد التلفاز فأنا أعلم بأني لن أنام هذا اليوم أبدًا كعادتي عندما أكون بحالة نفسية سيئة، أو هذا ما كنت أعتقده حتى استيقظت على صوت هاتفي يصدح بنغماته بصوت صاخب، فاعتدلت بجلستي لأجد نفسي نائمًا فوق الأريكة وفوق جسدي غطاء النوم يبدو أن زوجتي وضعته فوق جسدي ولم ترغب بإيقاظي ابتسمت من لفتتها الجميلة تلك، ولكن لم يُمهلني الهاتف مهلة للتفكير بها وهو يصيح بنغماته ذاعرًا فمددت يدي والتقطته سريعًا من فوق الأريكة وشاهدت بشاشته اسم الطالب لأجد مكتوبًا عليها B&H.. اندهشت من هذا الاسم الموضوع أمامي فأنا لا أعلم أحدًا أعلمه بهذا الاسم وجعلني فضولي افتح الخط سريعًا.. وأثناء ذلك وجدت زوجتي قادمة من الداخل وهي تحمل

ملعقة الطبخ بيدها ويبدو أنها سمعت الهاتف وأتت لإيقاظي تحدثت بالهاتف وأنا أبادلها النظرات.."الوو"

وهنا سمعت صوت فتاة ناعمًا ذا لكنة شامية واضحة تتحدث إليّ "مساء الخير سيدي.. "

اجبتها مسرعًا "مساء الخير.. "

"معك حسناء بداري، السكرتيرة التنفيذية لمجموعة B&H. نحن نتصل بك للتأكيد على موعدك معنا اليوم.. "

اندهشتُ وانعقد حاجبي وأنا أحاول أن أعيد استعادة وعي جيدًا.. من هؤلاء وموعد ماذا؟!!"..

هنا لقطت عيني سريعًا الكارت الموضوع فوق المنضدة ورأيت اسم مجموعة B&H، وعلى الفور وبثانية واحدة كنت قد استجمعتُ كل التفاصيل من جديد. إنها دار النشر التي طلبت من محمود إسماعيل أن يُعرفني بهم. إنهم يتصلون بي، هل يعقل أنه كان صادقًا بكلامه، استجمعتُ ما تبقى لي من لباقة وقمت بدفعها بفمي مرة واحدة لأستدرك الموقف سريعًا..

"اهلًا بك يا فندم.. اهلًا بك.. لقد أسعدتم يومي بمهاتفتكم لي هذا اليوم تالله.."

جاوبتني بصوت عذب يلين القلوب الصلدة.. "تأبرنا والله وتسعدنا رؤياك.. سوف ننتظر حضرتك بالموعد إن شاء الله.. "

"بالطبع.. بالطبع فسوف أحضر بالتأكيد.. "

"إذن سوف ننتظرك بالموعد إن شاء الله "

"حسنًا.. شاكر لكم وآسف على تعبكم المسبق معي "

"تعبك هو راحتنا ورضاك هو غايتنا يا سيدي "

كلماتها تلك بصوتها العذب جعلني أكاد أتنهد من فرط الشوق لرؤيتها، ولكن عندما تذكرت وقوف زوجتي بأدوات المطبخ فوق رأسي عدت إلى رشدي في الحال وتذكرتُ أمرًا هامًا كاد يغيبه صوت الحسناء من رأسي.

"أردتُ أن أتأكد فقط من حضرتكم بشيء ما "

"تفضل سيدي "

"هل موعدنا هو اليوم بالواحدة؟"

"نعم يا سيدي.. "

"الواحدة ليلًا.. أليس كذلك؟!"

"نعم يا سيدي.. هل هذا الموعد لا يناسبك...؟"

"لا.. لا.. إنه يناسبني بالتأكيد.. كنت أتأكد منك فقط "

"حسنًا بإنتظارك سيدي.. مع السلامة"

"مع السلامة "

أغلقتُ الهاتف وأنا أتعجب وأنظر إلى زوجتي وأحدثها منبهرًا.. "إنها دار النشر الخاصة بمحمود.. لقد قاموا بتأكيد موعدي معهم.."

زوجتى كانت مندهشة أكثر مني وأتت مسرعة لتجلس على الأريكة بجواري "ماذا.. هل اتصلوا بك؟.. إذن محمود صديقك لم يكن يكذب عليك!!"

"نعم.. والأغرب مِن ذلك أن موعدي معهم بالفعل بالواحدة ليلًا.."

"لا يهم.. لا يهم.. حتى ولو كانت الخامسة فجرًا، إنها فرصة متميزة ولا تعوض.."

أجبتها مبتسمًا فرحًا..

"نعم.. إنها فرصة عظيمة أتمنى من الله أن تُعيدني إلى مجدي السابق.. يجب أن تُعدي لي بعض الملابس الفاخرة التي تُناسب هذا اللقاء.."

نظرت لي نظرة مغايرة للموقف وسألتني بسرعة.. "هل من كان يُحادثك على الهاتف الآن فتاة؟!!"

ابتلعت ريقي بعفوية قلقًا من فحوى السؤال المُلغم.. "نعم.. إنها السكرتيرة التنفيذية للشركة "

ألفحتني بعدة أسئلة نارية بسرعة وبلهفة "ما اسمها؟ هل هي جميلة؟ هل ستحضر معكم المقابلة؟.. هل ستتواجد فتاة محترمة مع أشخاص بمفردهم بالواحدة بعد منتصف الليل...؟!!"

هنا علمت أن الأمر إذا استمر أكثر من هذا فسوف يُسفرُ عن مأساة إغريقية جديدة يتحول بها بطل القصة الرئيسية في النهاية إلى ضحية هامشية بسبب صراع سطحي بين آلهة الحب والغيرة، وبسبب قراءاتي الكثيرة لتلك المآسي الدرامية لا أرغب بالتأكيد أن أشاطر مصير أبطالها، ففعلت ما يفعله كل رجل كامل الرجولة، قوي الشكيمة عتيد المراس بهذه المواقف، ألا وهو محاولة استجداء رضاء زوجتي فتحاشيت النظر إلى عينها، وأدرت بوجهي إلى الجهة الأخرى كي لا تستشف ملامحي، فالزوجات بعد عدة سنوات مع أزواجهن يصبحن محققات بارعات كشارلوك هولمز وقارئات ملامح ذات فراسة تُضاهي فراسة أعاتيد العرب قديمًا، ولهذا قفزت سريعًا من الأريكة وتوجهت جهة الحمام..

"أنا مثلي مثلك لا أعلم شيئًا يا حبيبتي، سوف أخبرك بكل شيء عندما أعود، سوف استحم الآن وأريد أن أتناول الإفطار"..

ودلفت مسرعًا مُتواريًا بداخل الحمام حتى لا أعطي لها فرصة للإنقضاض عليّ بسيل من الأسئلة الغيبية عن شكل ومواصفات والحالة الاجتماعية لأي أنثى أمر بها بطريقي. مر الوقت سريعًا وظللت جُل يومي أحضر لمقابلتي المصيرية تلك وبنفس الوقت أتحاشى أسئلة زوجتي الملغمة عن السكرتيرة التي يخيل إليها عقلها المريب أن تلك الفتاة سوف تراني فتي أحلامها بهذه المقابلة السريعة وسوف نتزوج بالحال واتخلى عنها وعن حياتي المُستقرة منذ اثني عشر عامًا، ولهذا تركت المنزل سريعًا في حوالي الحادية عشرة والنصف مساءً، وتوجهت إلى مقر الشركة وأثناء توجهي لمكان المقابلة قمتُ بالإتصال برقم محمود إسماعيل لمحاولة شكره والإستفهام منه عن طبيعة تلك الدار وأصحابها، ولكني وجدت هواتفه مغلقة دائمًا وما زال فعله هذا يُثير بداخلي الحيرة لماذا لا يريد أن يقابلني أو أن يتحدث إلـي؟، هل يخشى أن يتم رفضي بهذه المقابلة وأن ألقي عليه باللوم؟، حتى ولو حدث هذا فلن ألومه، يكفي أنه قد قام بتلك المحاولة من أجلى حتى وأن لم تنجح فأنا لا أنسى الجميل أبدًا، وأي شخص يساعدني حتى ولو بكلمة أضع معروفه فوق رأسي ما حييت. جنبتُ أفكاري عن محمود إسماعيل الآن مؤقتًا عندما وجدت نفسي بالقرب من مقر الشركة الذي كان ضخمًا وفخمًا بآن واحد. وجدت مكانًا كبيرًا بالقرب من المبنى مخصصًا لركن السيارات، ولن تصدقوا مدى فرحتي بهذا الأمر فالقاهرة أصبحت تضيق بسكانها

فلا نجد مكانًا لموضع قدم فما بالك بمكان تضع به سيارتك..

نظرتُ لساعتي فوجدتها مازالت الثانية عشر وأربعين دقيقة. لقد أتيت أبكر من موعدي بقليل. يبدو أن مقابلات العمل ليلًا أفضل بالفعل في أماكن مزدحمة مثل القاهرة. جلستُ بسيارتي أنتظرُ مرور الوقت، وعند الواحدة إلا خمس دقائق ترجلت من السيارة متجهًا إلى مبنى شركة B&H. دلفت إلى المبنى وما إن قابلني عامل الاستقبال، وأفصحتُ عن اسمي وموعدي فوجدتهم يصلوني إلى المصعد بأنفسهم بترحاب شديد، وصعدت المصعد مع بعض الأشخاص والموظفين وكم كانت دهشتي عندما وجدت أن المكان يَدب كخلية نحل والجميع يعمل بنشاط شديد حتى إذا كان ذلك بعد منتصف الليل. حان دوري في المصعد وتوقفت عند الطابق الرابع واتجهت إلى مكتب ضخم مكتوب عليه اسم دار النشر B&H، وتفاجأت فيما بعد بأن دار النشر هي مجرد جزء صغير من مجموعة أعمال شركة B&H على الرغم من أن دار النشر تحتل ثلاثة طوابق بالفعل من المبني المكون من سبعة عشر طابقًا. دلفت إلى المكتب وتنقلت من موظف إلى موظف لعدة دقائق حتى وصلت إلى السكرتيرة التنفيذية "حسناء "التي قفزت مبتسمة وهي تصافحني بترحاب شديد، حاولت أن أعرفها بنفسي فأجابتني أنها تعلم من أنا فهي التي قامت بالبحث عني وعن بياناتي بعد أن رشحني محمود إسماعيل لهم. لم تمهلني لكي أقوم بالرد عليها حتى وقامت بإدخالي إلى مكتب مقابل لها، وحينما دلفت إلى هذا المكتب لم أجد أحدًا بداخله فأجلستني على المقعد المقابل للمكتب ثم أخبرتني بأن المدير باجتماع سريع مع

بعض المؤلفين الآخرين، وسوف يعود لمقابلتي. أومأت لها برأسي متفهمًا، ومن ثم طَلبتْ أن تعلم ما أُريد شربه، فطلبت كوبًا من القهوة السادة التي ألفت طعمها بعد أن قررت الإستغناء عن السكر طبقًا لحميتي الجديدة التي صنعتها زوجتي عندما طرق المرض بابي بشدة. هنا سحرتني حسناء بإبتسامتها المشرقة ولهجتها الشامية الرائعة، واستأذنتني بعد ذلك لأن لديها العديد من المهام فهي السكرتيرة التنفيذية للمجموعة بأكملها، وليس لدار النشر فقط ولهذا فهي تتنقل من آن لآخر بجميع طوابق المبني. أومأت لها برأسي وأنا أخبرها بأني أعلم حجم مشاغلها، فرفعت يديها البيضاء النضرة، وهي تُشير إلي بعلامة الوداع، وأصبحت بمفردي مع رائحة العطر الخلابة التي تركتها خلفها وأخذت بتلابيبي. طردت تلك الأفكار المثيرة التي غزت عقلي بسبب رائحة هذا العطر، وظللت أنتظر قدوم المدير الذي أجهل اسمه حتى الآن وأخذت أحدق بالمكتب حولي بفضول، وأنا أطالع الأثاث الفخم والديكور المُتكلف على هيئة مكتبة ضخمة مليئة بالكتب المشهورة المتموضعة بأشكال وألوان ثرية تسيل لعاب القارئ النهم، ووجدت على مكتب المدير نسخًا بعض الكتب الأصلية والمخطوطات القديمة النادرة الوجود. لم أصدق عيني مما أشاهده فأقل نسخة من تلك النسخ يتعدى سعرها آلاف الدولارات الآن.. والكثير منها موجود على مكتب شخص واحد. هل من الممكن أن تلك الكتب هي مجرد نسخ مُقلدة، ولكن شكل الكتب ورائحتها من بعيد تدل على أنها غارقة بالأصالة والقدم. هل يستطيع البشر تقليد كل شيء الآن حتى أصالة وقِدم التاريخ.

جلست مرتبكًا مُتعرقًا أحاول التركيز والسيطرة على أعصابي.. قارئ مخضرم مثلي لا يستطيع أن يكبح نفسه أمام كتب نادرة مثل التي أمامه. لقد تداركت شعور آدم الآن وهو يرى الفاكهة المحرمة بين يدي حواء، وتتناولها بإستمتاع أمامه. شيء مثير للدهشة بحق، لا ندري لم طعم أي شيء محرم يكون ألذ بكثير من الشيء الطبيعي. هل الطبيعة البشرية لها دَخل بذلك، هل نحن بمجملنا خطاءون؟، ولهذا نميل إلى الخطيئة ونشعر بلذة إرتكابها أم أن الشيطان ووسوته هي من يُخِيل لنا ذلك، هل هي وسوسة شيطان بالفعل أم الجزء الشرير من نفسي؟، لا أدري مَن بالضبط يُخيل لي بتلك اللحظة أن ألتقط تلك الكتب النادرة وأهم بالفرار من ذلك المكان بالحال. قمت على الفور بلطم وجهي وأنا أحاول السيطرة على أعصابي. يجب أن أعود إلى رشدي ما هذا الحمق الذي دار برأسي الآن. تبسمت وأنا أنعت نفسي بالغباء لإستسلامي لتلك الوساوس الحمقاء، وحمدتُ الله أني عدت إلى رشدي، وأثناء ذلك وجدت نسخة من تلك الكتب النادرة بين يدي، فيبدو أن عقلي يُفكر بشيء وجسدي يُفكر بشيء مغاير له تمامًا. نظرت إلى الكتاب بين يدي وأنا أكاد أجن ما الذي أفعله، كيف أقوم بالإطلاع على ممتلكات شخص دون إستئذانه، ولكن رائحة الكتاب القديمة ومَلمسه الذي أكل الزمان عليه وشرب، وعبق التاريخ الذي نقع به جعلني افتحه على الرغم مني وأتصحفه ولم تخطئ عيني بالحال بأن تلك النسخة هي نادرة بالفعل. كتاب لاتيني قديم مكتوب بخط اليد. أنا لا أعلم اللاتينية بالطبع، ولكن أعلم بعض المفردات المشهورة منها والأرقام بالتأكيد، ولهذا لم أخف

فرحتي عندما تَلمستُ ذلك الكتاب وأخذت أتفحصه بعناية أحاول معرفة نوعه والحقبة التي صدر خلالها، وأثناء انغماسي بهذا الأمر لم أفَقْ إلا على صوت شخص يقف بجواري..

"يبدو أنك كاتبٌ مُتمرسٌ بالفعل.. فلم تستطع أن تكبح نفسك أمام هذه الكُتب الرائعة.. "

أصبتُ بالخوف الشديد والربكة بذات الوقت ووقفت مذهولًا، وأنا أطالع رجلًا بمنتصف الخمسينات شعره مصبوغ بالأحمر بعناية، ويرتدي ملابس سوداء فارهة وملامحه أجنبية بوضوح ويتحدث اللهجة المصرية المُختلطة باللهجة الشامية والخليجية معًا.. يبدو أنه أخذ من كل بستان زهرة كما يُقال. مد يده إليّ ليصافحني..

"أنا آسف على إفزاعك. يبدو أنك قد كنت مُنهمكًا بقراءة الكتاب. أنا دارين راندولف مدير النشر بدار B&H.. "

صافحته بحرارة شديدة وأنا أحاول أن أخفي ارتباكِ

"أهلًا.. أهلًا سيدي.. أنا آسف على تَصفحي لكُتبك دون إذنك.. "

جلس على المكتب سريعًا وهو يشير إليّ أن أجلس وحدثني بحميمية..

"لا هذا دليل قوي على أنك من الكتاب الموثوق بهم، لأنك تدرك جديًا قيمة هذه الكتب النادرة.."

جلست على المقعد وأنا أفكر هل يعقل بأن وضعهم هذه الكتب النادرة بهذه الطريقة هو مجرد اختبار لي.. هنا قام على الفور بالتحدث إليّ وهو يبتسم.. "نأسف على اختيار هذا الوقت المبكر للمقابلة.. أقصد المتأخر.. أنا لا أدري هل سيكون هذا مبكرًا أم

متأخرًا لك.. ولكن أعتذر لك على أي حال "

هنا إغتنمت هذه الفرصة وسألته عن هذا الموعد الغريب "هل هناك سبب ما لإختيارك هذا الموعد سيدي؟"

ابتسم وهو يُرجع ظهره على المقعد مرتاحًا "نعم.. هناك سبب وجيه للغاية.. أنا لا أستيقظ مبكرًا ".. ثم ضحك وأكمل حديثه ولم يعبء بردة فعلي الباهتة على دعابته السخيفة تلك..

"لقد أخبرنا السيد محمود إسماعيل برغبتك بالإنضمام إلى مجموعتنا، ووجودك أمامنا الآن في الواحدة ليلًا دليل على رغبتك بهذا أو لأصدقك القول إستماتتك على العمل لدينا "

شعرت بالغضب الشديد يجتاحني من كلماته تلك وغلت الدماء برأسي، ولكن حاولت أن أتمالك نفسي.. ولكن لم أستطع فقمت من فوري، وأنا أحاول إنتقاء كلمات حادة غير جارحة تُنقص من مكانتي الأدبية وقيمتي الشخصية، فلم أجد ولم تُسعفني سرعة بديهيتي بهذا الأمر فوجدتني أتلعثم ببعض الكلمات قبل أن أخبره بضيق..

"أنا لا أستميت للعمل لديكم.. لقد أخبرني محمود إسماعيل بأنكم مجموعة محترمة ومهنية ولهذا رغبت بأن نتعاون معًا ليس إلا.. ولكن لم آت إلى هنا لكي تقوموا بالسخرية مني والتقليل من قدري"

هنا اعتدل دارين بجلسته وهو يُشبك أصابع يديه أمامه..

"أعذرني على صراحتي التي تعتقد بأنها وقاحة سيدي.. إنها عادات أيرلندية بسبب نشأتي. لم أستطع أن أتخلص منها بسهولة. تستطيع أن تغضب لكرامتك وتَصيح وتزمجر وتدفع الباب وتخرج من هنا إلى الأبد، وعندما تجلس مع أصدقائك تخبرهم بكل مرة أنك

رفضت العمل معنا لأننا وقحون وغير مهذبين، وأصدقاؤك سوف يوافقونك القول، وهم يَمطون أفواههم أسفًا على ما حدث لك، ومن ثم بعد ذلك سيسخرون منك وينعتونك بالكذب، وأنك تلقي بفشلك على الآخرين.. "

شعرتُ بالغضب أكثر فصرخت به على الفور "أنت شخص وقح وسليط اللسان وأنا آسف أن ضيعت وقتي معك "

هنا تابع دارين حديثه "تستطيع أن تخبرهم أيضًا أنك قلت لي تلك الأشياء بجلستك مع أصدقائك بالمستقبل إذا انصرفت غاضبًا من أمامي الآن.. أو من الممكن أن يكون الأمر مختلفًا تمامًا وكليًا إذا إستمعت لحديثي لدقائق أخرى لتعلم لماذا أخبرتك بهذه الكلمات "

وقام على الفور بدفع ورقة مقلوبة أمامه ووضعها أمامي وهو يُحدثني "اقرأ هذه الورقة بتمعن ومن ثم سنكمل حديثنا "

وقفت أنظر إليه ومن ثم إلى الورقة وسحبتها من أمامه بعنف وعلى مضض، ونظرت بداخلها لأجد بها ما جعلني مصدومًا أكثر.. فقمت بإعادة قراءة الورقة أمامي عدة مرات..

هنا ابتسم دارين مُتشفيًا بي وهو يتكأ على المقعد ويتحرك من خلاله يمينًا ويسارًا..

"نعم.. هذه هي بياناتك كاملة.. عدد المبيعات الكلية والجزئية لآخر ثلاثة أعمال من تأليفك، والأموال التي تقاضيتها خلال تلك الفترة، وتوقعات مبيعاتك من قِبل دور النشر وما حققته فعليًا من مبيعات.. "

نظرتُ إليه مصدومًا مِن وصوله إلى تلك المعلومات الحساسة من

قِبل دار نشر أخرى منافسة له على الرغم من أني أنا شخصيًا لم أطلع على تلك المعلومات مِن قبل "

تابع دارين حديثه مُبتسمًا "كما ترى نحن نعلم عنك كل شيء ومعي خمس ورقات أخرى بهم خلاصة سريعة عن حالتك الاجتماعية والمالية وباقي مبيعاتك السابقة، مع توصيات من قبل فريق التسويق لدينا لجعل مبيعاتك تلك تصل الي ١٧٠٠٪ بالمئة ويصبح لك سيط كبير في بقاع أخرى من العالم وليس هنا فقط"..

هنا تهلل وجهي فرحًا على الرغم عني، هل هذا يعني أنهم يرغبون بالعمل معي بالفعل، وهل سوف أحقق مبيعات بتلك النسبة، هل هذا معقول...!!"

وجدتُ نفسي أجلس على المقعد رغمًا عني، وقد ذهب غضبي وحل محله رجائي بأن يكون حديثه هذا صحيحًا فلم أتردد على الفور بسؤاله هذا الأمر "هل بالفعل أستطيع أن أحقق تلك النسبة الكبيرة من المبيعات، هل تستطيعون تحقيق هذا؟، أنا لا أصدق، أنتم لا تسخرون مني أليس كذلك؟!"

ضحك دارين سريعًا.."لا.. نحن لا نسخر منك، نحن قادرون على فعل هذا الأمر، وليس كذلك فقط، بل إننا سوف نعطيك أرباحًا مقدمة عما نسبته ١٧٠٠٪ من مبيعاتك السابقة عند إتمام التعاقد، سوف يصلك شيك بمثل هذا المبلغ.. "

وقام بإخراج شيك نقدي أمامي عليه اسمي، وبضعة أرقام لم أكن أن أتخيل بيوم من الأيام أن يوضع اسمي بالقرب منها، ولكنه للأسف لم يكن عليه أي إمضاء، رفعت الشيك بين يديّ وأنا أكاد أطير فرحًا،

لا أصدق ما يحدث أمامي، يكاد بريق الأرقام التي على الشيك تعمي عيوني وقلبي يكاد ينفجر فرحًا. ارتفع الإدرينالين والدوبامين وجميع هرمونات السعادة الأخرى المعروفة منها وغير المعروفة تدفقت بعروقي جعلت كل جزء من جسدي ينتفض بسعادة حتى أطرافي. قدمي التي ارتعشت على الرغم عني، وأصابع يدي التي اهتزت وهي تحمل الشيك بين أناملي، وهنا قطع دفقات هرمونات السعادة فورًا. وضع دارين يده حول يدي التي تحملُ الشيك وهو يبتسم بخبث.. "ولكن"

هنا اقتنعت على الفور بأن هناك أمرًا بهذه الصفقة، فالوضع جيد أكثر مما ينبغي، جيد لدرجةٍ تشعرك بالريبة، لم أستطع أن اخفي خيبة أملي بكلماتي التالية التي خرجت من فمي سريعًا.."ولكن ماذا؟!!"

هنا ترك يدي وارخى ظهره على مقعده ورفع سبابته.. "هناك شروط للعمل لدينا، يجب أن تكون على دراية بها جميعًا وموافقًا عليها، لأنك إذا قمت بتوقيع هذا العقد لا تراجع بعده أبدًا.. سوف نُنفق أموالًا ومجهودًا لا تستطيع أن تتصوره، ولن نسمح بأي حال من الأحوال أن يضيع هذا المجهود وتلك الأموال هباءً منثورًا بسببك نهائيًا.."

هنا شعرت بالقلق من نبرة حديثه فوجدتني أبتلع ريقي دون أن أشعر وأنا أتابع كلماته المتجردة كليًا من أي شكليات أو مجاملات أو ردود دبلوماسية وتابع قوله "ولهذا يجب أن تعلم أنه بحالة انضمامك لمجموعتنا، فسوف نضمن لك إيفاءنا بكل حقوقك وأيضًا نتوقع منك أن تقوم بتنفيذ كل واجباتك"

هنا لم أفهم مغزى حديثه، فعند الاتفاق بين أي جهتين المتوقع والطبيعي أن تقوم كل جهة بتنفيذ ما اتفقت عليه هذا بالتأكيد ما

يحدث دائمًا، فلماذا يصيغ الأمر على أنه شيء جديد أو خارق للعادة، فقمت على الفور بتأكيد كلامه هذا "بالطبع يا سيد تارين.. "..

اللعنة لقد اخطأت بنطق اسمه، ولكنه لم يُعِرْ هذا أي اهتمام فقمت بتكملة كلامي مسرعًا ملاحقًا لهذا الخطأ الشنيع الذي فعلته.. "أنا رجل أحترم تعاقداتي ولا أخالفها أبدًا، وأيضًا أتوقع منكم أن توفوا بكلامكم بالأخص الجزء المتعلق بدفع المبلغ المقابل للألف بالمائة الذي تعهدت بها الآن "

اومأ برأسه لي.. "لا تقلق هذا سوف يحدث بالتأكيد. عندما تتعاقد معنا لن تنشغل بمستوى مبيعاتك أو نقودك أبدًا. لن تنشغل بأي شيء سوى وظيفتك الطبيعية إلا وهي الكتابة فقط ولا شيء آخر.. "

هنا لم أتاملك نفسي من السعادة، فهذا أقصى ما كنت أرغب به، أن أنشغل بطبيعة عملي فقط وهي الكتابة ولكن كان العكس الذي يحدث دائمًا فكنت مُطالبًا بالتكفل بمهمة الكتابة وأن أتحمل مسئولية الدعاية والتسويق والتوزيع لما أكتبه أيضًا فقد قامت دور النشر هذه الأيام بحمل ثقل وظيفتها على الكاتب وأصبح شغلها الشاغل فقط هو عملية امتصاص النقود فقط من وراء هذا الكاتب دون تحمل أي من مهامها تجاهه.. ولهذا لم أصدق نفسي عندما وجدت تعهد هذه الدار بأن تتكفل بوظيفتها الطبيعية، وتتركني لوظيفتي الطبيعية، ولكن لا أخفيكم سرًا لقد تشككت بهذه التعاقدات فعندما أتعامل مع أي جهة جديدة أسمع كلامًا معسولاً ولا أجد أي فعل من هذا بعد ذلك، ولهذا فأنا سوف أتمسك بأخذ هذا المبلغ الذي تعهدوا به أولًا وإذا صدقوا بباقي وعودهم فسيكون هذا شيئًا عظيمًا، وإذا لم يصدقوا فأكون قد

أمنت نفسي ولا يهم الأمر بعد ذلك، وعلى الفور أخبرتهم بموافقتي على شروطهم ولكن بعد أن اقرأ العقد جيدًا أولًا.."

رفع دارين كفيه أمامي ببطء وثقة.. "لدينا لا يوجد عقود.. هناك فقط شروط "

اندهشت من كلماته.. "ماذا؟!! لا يوجد عقود.. كيف ستحمي حقوقي أو حقوقك إذا لم يلتزم أحدنا باتفاقه "

اتكأ أكثر على مقعده.. "لماذا ستحتاج عقدًا؟، سوف تأخذ أموالك كلها مقدمًا بأي وقت توافق به على شروطنا حتى ولو الآن، وتستطيع أن تصرفهم وتضعهم بحسابك أو بحساب شخص آخر أو حتى تلقيهم بالبحر كما تشاء، واسمك سوف يكون بمقدمة العمل ويظهر أمام الجميع بأنه من تأليفك أنت ماذا تريد أكثر من هذا لتحفظ حقوقك؟.. "

كلامه أربكني بالفعل، فالعقود هي موجودة لحفظ الحقوق المالية والأدبية بالمقام الأول، وأوقات كثيرة لا تستطيع أن تتحصل على حقوقك حتى ولو معك عقد قوي، ولكن هنا سوف يعطيك الأمور المالية والأدبية مقدمًا ولا يوجد أفضل من هذا أبدًا ولكن لم يمنعني هذا من سؤاله بدافع الفضول..

"ماذا عن حقوقكم أنتم؟، كيف تضمنون بأني لن أخل باتفاقي معكم بدون عقد؟.."

أجابني سريعًا "لماذا؟.. هل تنوي أن تُخلَ باتفاقك معنا؟ "

شعرت بالاضطراب من سؤاله هذا.. "لا.. لا بالطبع.. أنا رجل يُحافظ على كل اتفاقاته وتعاقداته، فإن كلمتي هي سيف على رقبتي

يجب تنفيذها "

أجابني مُلاحقًا وهو يشيح بيديه بجانبه.. "حسنًا لا توجد مشكلة إذن.. أخبرني بموافقتك على شروطنا، وسوف تذهب إلى المنزل وبصحبتك هذا الشيك الذي معك الآن "

ابتسمت على الرغم عني وأنا أعلم بأن ما يحول بيني وبين رؤية صدمة الفرح التي على وجه زوجتي عندما تُشاهد هذه الأرقام على الشيك هو الموافقة على هذه الشروط. أنا بالفعل سوف أوافق على شروطه أيًا ما كانت هي، ولكن يجب أن أعلمها أيضًا حتى إذا سألتني زوجتي عنهم أستطيع أن أجيبها "

"أنا موافق على التعاون معكم سيدي وأرغب بمعرفة ماهي شروطكم تلك "

رفع أربعة من أصابع يده اليمنى.. "إنها أربعة شروط فقط "

"ألا وهم؟!!"

"١- أن تكتب رعب فقط ولا تكتب بأي فرع من فروع الأدب الأخرى "

"٢- أن تكتب أربعة أعمال بالعام الواحد.. أي عمل كل ثلاثة أشهر وبالطبع سوف تأخذ كل مبيعات أي عمل منهم مُقدمًا بشيك مثل هذا.. أي أنك سوف تتحصل على مثل هذا الشيك كل ثلاثة أشهر "

ابتلعت ريقي وأنا مشدوه مُنتشٍ بالفرح، ولكن لم أعقب وأخذت أستمع إلى باقي شروطه.

"٣- إذا أراد أي كاتب من أصدقائك أن يعمل لدينا فلا تخبره بتفاصيل الاتفاق معنا نهائيًا، ولا تُحاول أن تثنيه عن العمل معنا، وإذا

فعلت أمرًا مخالفًا لهذا فسوف نعلم وسوف تكون أخللت بهذا الاتفاق"

أومأت له بالموافقة برأسي على الرغم من عدم اقتناعي بهذا الشرط ولكن لم يثنيني عن إكمال باقي الشروط

"٤- سوف تكتب عن قصص حقيقية فقط سوف يقوم صاحب المجموعة بحكايتها لك ووصفها بالتفصيل الممل غير المُخل وأنت بدورك تنسجها بكتابتك "

أثار الشرط الأخير انتباهي أكثر من سابقه، ولم أخف امتعاضي بسؤالي المباشر لدارين..

"أنا آسف.. ولكن هل قلت سوف أكتب قصصًا يحكيها لي صاحب المجموعة؟!!"

"نعم.. سوف يتلو عليك قصصًا حقيقية حدثت لعدة أشخاص حول العالم وأنت سوف تكتبها "

هنا شعرت بالضيق، فالحرية المزعومة التي أخبرني أني سوف أحصل عليها تلاشت بالنهاية في الواقع، فسوف أتحول في النهاية إلى آلة كاتبة لرجل أعمال لديه نقود، ولكن ليس لديه موهبة الكتابة ويريد أن يحول أفكاره التي يرى أنها الأفضل بالعالم إلى أعمال روائية بأقلام كتاب مشاهير. هنا علمت لماذا محمود إسماعيل كان يتهرب من لقائي حتى لا يشعر بالإحراج مما صار إليه حاله. نظرت إلى الشيك بين يدي وإلى رائحة الأموال التي تفوح منه، وابتلعت إمتعاضي سريعًا، فأنا بكل الأحوال أفضل حالًا مِن كثيرين فهناك من يبيع شرفه مقابل الأموال، أما أنا سأبيع قلمي فقط. تنهدت وأنا أضع الشيك أمام دارين وأبلغه برضوخ على موافقتي على شروطه، وهنا ارتفعت ابتسامة

السخرية الواضحة على وجه دارين فيبدو أنه قد اعتاد على ملامح الرضوخ تلك من قِبلِ جميع الكتاب الذين واجهوه في السابق، وقام على الفور بإمضاء الشيك بيده وناولني إياه بثقة.."مبارك.. مبارك عليك انضمامك إلى مجموعة B&H يا سيدي.."

وقام بمصافحتي بثبات. أمسكتُ الشيك بين يديّ غير مُصدق ووضعته بطيات ملابسي بأقصى سرعة وأنا أسأله بعدم مبالاة واضحة.."إذا متى سوف ابدأ بمقابلة صاحب المجموعة لكي يُخبرني بالقصة التي يريد أن أكتبها له؟!"

اومأ لي برأسه وهو يَصحبني جهة الباب.. "لا تقلق يا سيدي. عندما يريد ويسمح وقته سيتواصل معك صاحب المجموعة ويُخبرك بالقصة التي يجب أن تكتبها "

وفتح الباب لي لكي أخرج، وأنا لا أطيق صبرًا لكي أخبر زوجتي وأراها أساومها قليلًا على إقتطاع مبلغ من هذا الشيك لكي تحضر لنفسها بعض الملابس والهدايا، وإنطلقت إلى خارج الشركة كالسهم المارق لا أعطي لأحد إهتمامًا حتى للسكرتيرة التنفيذية رائعة الجمال التي أخذت بتلابيبي من قبل لم أعِرْها اهتمامًا وأنا أمرُ من جانبها وهي تبتسم لي وبادلتها الإبتسام وأكملت طريقي بسرعة لم أكن اتخيلها فيبدو بأن النقود بالفعل تُصغر بالأعين كل كبير.. "

ذهبت إلى منزلي مُسرعًا وأقمت انا وزوجتي والأطفال الأفراح والصياح ولم نعبأ بأننا بالقرب من صباح اليوم التالي الذي ما إن أشرقت شمسه حتى اندفعت كالصاروخ إلى البنك القريب من منزلي لأضيف حساب هذا الشيك إلى رصيدي الذي أصبح ضخمًا عَفيًا

بعد أن كان هزيلًا ضعيفًا يتلوى بالأشهر الفائتة..

ومرت الأيام تلو الأيام ولم أتلق أي اتصال بأي شكل من دار النشر أو صاحبها أو حتى سكرتيرتها ولم أكترث أبدًا، فبالنهاية أنا أخذتُ الأموال وأنا على أتم الإستعداد للعمل بأي وقت يريدونه. مرت عدة أيام أخرى وبالتحديد ٤٥ يومًا كاملًا بعد أن ذهبت الي دار النشر وهنا بدأت حكايتي..

* * *

(ليس مِن الرائع دائمًا تحقيق كل أحلامك،
فبعض تلك الأحلام كوابيس في النهاية)

# (وظيفة الأحلام)

اليوم هو التاسع من الشهر، وعلى الرغم من ذلك فلا أمتلك بجيبي سوى بضعة باوندات لا أدري كيف سوف أكملُ بها هذا الشهر أو أسدد إيجار غرفتي بعد ذلك. لقد فقدت عملي منذ سبعة أشهر وحتى الآن لم أستطع الحصول على أي وظيفة. لقد نفدت مُدخراتي بالكامل وأصبحتْ أرصدتي بالبنك سالبة. ليس هناك حلول أمامي سوى شيئين فقط، أن أعود إلى السكن مع والدتي من جديد وبالطبع ستجعلني أعمل بمحل الجزارة الذي يمتلكه أخي الأكبر الذي جعلني أمقته وأمقت البلدة كلها وأمقت اللحم، فلم أتناوله منذ أن رحلت من بلدتي، وبالتأكيد لن أعود فهم السبب برحيلي مِن هناك منذ البداية. والأمر الثاني هو أن أعمل بوظيفة جُزئية لها راتب صغير، وليس بها تأمين صحي أو اجتماعي فما بلك بتأمين الأسنان الذي كنت أعول عليه في الخلاص مِن ضرسي الأيسر الذي يجعلني أجافي النوم ليل نهار. حياتي تتحول مِن سيييء إلى أسوأ دون أن أعلم السبب لذلك. شعرت بالبرد قليلًا فقمت ناحية النافذة أحاول أن أتفقد الطقس لأجد أن الأمطار بدأت تتساقطُ بغزارة. إذن لن أستطيع الخروج مِن الغرفة للتريض حتى لتغيير روتيني اليومي الممل. جلست على السرير بجوار النافذة وأنا أنظرُ إلى زُجاجها المُغطى بحباتِ المطر الكبيرة وهي ترتطمُ بعنف. صوت الأمطار الصاخب صاحب ذكريات

سيئة لديّ، صدي صوت مديري وهو يُخبرني بأنهم لا يَحتاجون إليّ بعد الآن، وما زال مشهد رذاذ البصاق وهو يتناثر من فمه وهو يُخبرني بأنني موظف أقل من العادي يستطيع أن يَتخلص من ألف موظف مثلي دون أن يتأثر العمل بغيابه. هل أنا حقًا شخص عادي هكذا. حتى صديقتي لم تمكث معي سوى شهرين، وأخبرتني وهي تنفصل عني بأني شخص ممل. لا أعلم هل هذا صحيح، وهل إذا كان صحيحًا فهل هناك مَن يُعيب الشخص العادي الممل. أنا أتذكر حياتي بأكملها كانت هكذا حياة عادية ومملة وحياة والدي وعائلتي وجميع سكان بلدتي جميعها حياة عادية ومملة، ولم يشتكِ أحد، ولم تنفصل أمي عن والدي أو نساء البلدة عن رجالها، فلماذا يحدث لي هذا. ظللت أقلب بتطبيقات المُواعدة وأنا أبحث عن فتاة ما ترضى أن تواعدني حتى وإن لم تكن مِن النوع الذي أفضله، ولكن أنا بهذه المرحلة أفتقد وجود لمسة أنثى بحياتي أي أنثى لن أشتكي، ولكن هنا تذكرت بضع الباوندات التي بجيبي، فلن أستطيع حتى أن أوفر لإحداهن مشروبًا ببار ليلي. إذن يجب أن أبحث عن عمل لكسب المال من المتعارف عليه بكل أنحاء العالم أن ظهور النساء يزداد طرديًا بعد ظهور النقود. قفزت من سريري سريعًا وذهبت إلى حاسوبي القديم المُتهالك وأخذت أطالع مواقع التوظيف وأنا أنظر إلى بريدي الإلكتروني لعليّ أجد أحدًا يرغب بلقائي بعد ما قرأ سيرتي الذاتية، وكانت صدمتي سعيدة عندما وجدت واحدًا منهم فقط قد قام بمعاودة مراسلتي. نظرت إلى مصدر الرسالة وأنا غير مصدق. إنه قصر"هامبتون كورت"، إنها الوظيفة الوحيدة التي توقعت

ألا تُتجاوب إطلاقًا. شاهدت الرسالة بتمعن شديد وقمت بقراءتها أكثر من خمس مرات. إنهم يريدون مقابلتي غدًا بالخامسة مساءً، ويجب أن أحضر معي سيرتي الذاتية وصورًا شخصية لي والمقابلة بالزي الرسمي. وهنا شعرتُ بالارتباك الشديد. إن ويمبلدون بعيدة عن مكان سكني وسوف أستغرقُ الكثير مِن الوقت بالذهاب إليهم، وأخشى أن أتأخر عن موعدي. ماذا أفعل إذن؟ لم أجد بُدًا سوى أن أذهب إلى ويمبلدون بالباص، ولكن النقود التي معي لن تغطي قدرتي على إيجار نُزل لكي أقضي به الليل، ماذا أفعل؟! وهنا لم أفكر كثيرًا فيجب أن أغتنم هذه الفرصة بأي شكل ممكن، وعلى الرغم مِن معرفتي بأن فرص قبولي بهذه الوظيفة صعبة للغاية ولكن رغبتي منذ أن كنت صغيرًا بمشاهدة القصور التي أراها دائمًا بحفلات تتويج الملكة والمناسبات العامة، وها قد حانت لي الفرصة بالذهاب إلى أحدها بدعوة رسمية حتى ولو كانت لعمل ما فيكفي أن أحقق حلمي هذا. وبدأتُ بتجهيز حُلتي الوحيدة القديمة وانتظرتُ توقف المطر وبعد ساعتين انطلقت إلى قصر ويمبلدون بعد أن دونت العنوان على هاتفي.

* * *

وصلت أخيرًا إلى ويمبلدون واضطررت أن أنام على إحدى الأرائك بالحدائق العامة خلال برد الليل، ولكن كنت قد تعودتُ على ذلك عندما كنت بالجامعة من قبل. دخلت إلى أحد المطاعم وتناولت إفطارًا رخيصًا، وقمت بتغيير ملابسي بالحمام وانطلقت إلى وجهتي المَنشودة. إنه قصر "هامبتون كورت"، ذلك القصر الشهير المبني

منذ ٥٠٠ عام أو أكثر وصدرت عليه الكثير من الأقاويل والأساطير، وتم بالنهاية تحويله إلى مزار سياحي لسنوات كثيرة حتى تم تأجيره لأُناس أثرياء منذ عقدين من الزمان، وانقطعت أخباره عن العامة منذ حينها.. لم أكن أعلم ما طبيعة الوظيفة أو كنت سوف أقبل بها أم لا، ولكن ما كان يثير اهتمامي هو رؤية هذا القصر التاريخي الذي أصبح محظورًا على العامة رؤيته لأنه ملكية خاصة الآن. الساعة الآن الرابعة والنصف مساءً وأقف أمام البوابة الحديدية الضخمة أمام القصر، ياللهول إنه باب ضخم للغاية يتعدى المترين وبعرضِ متر ونصف تقريبًا يتوسطه سور كبير فوقه سلوك كهربائية تمنع أي شخص من القفز فوقه وعدد من الحراس يقفون خلف البوابة بأجسادهم الضخمة متأهبين. كان يبدو على المكان أنه ثكنة عسكرية للوهلة الأولى، ولكن كسر قتامة هذا المشهد ظهور القصر مرتفعًا أمامي يطلُ على المكان بكل عظمة وشموخ ورائحة تاريخه الأثري تتمازج مع رائحة الأرض المبللة بسبب الأمطار منذ عدة ساعات. إرتسمت على وجهي إبتسامة كبيرة وأنا أطالع هذا المشهد الذي كان مختلفًا كليًا عما كان في مخيلتي. قطع إبتسامتي سريعًا أحد حراس القصر وهو يقف أمامي بعدائية يسألني عن سبب وقوفي أمام القصر، إرتبكت قليلًا أمامه وتلعثمت وأنا اخرج من هاتفي كود المقابلة الذي تم إرساله لي على البريد الإلكتروني بالأمس. دَونّ الكود سريعًا ومن ثم توجه إلى البوابة وأخذ يتحدث بجهاز الإرسال الذي يحمله لثوانٍ ومِن ثم تم فتح البوابة الضخمة أمامي وصريرها يكاد يفتكُ بطبلة أذني مررت لداخل القصر بصحبة حارسين يحاوطونني، وباقي

الحرس على البوابة أعينهم تكادُ تمزقني. اقتربت أكثر وأكثر جهة القصر الذي كان على مساحات خضراء شاسعة وكبيرة لا يستطيع أحد أن يُنهي تلك المساحة إلا إذا كان فوق صهوة جواد بالعصر القديم أو عربة جولف بوقتنا الحالي. لفت نظري سريعًا على يساري البحيرة الضخمة الموجودة بداخل تلك الأماكن الخضراء الشاسعة وطيور البجع تستقر بمائها. كان مشهدًا رائعًا ومثيرًا للغاية كنت أحسد ساكني هذا القصر على إستمتاعهم بكل هذه المساحة الواسعة والأسوار الأثرية وتلك المناظر الطبيعية الخلابة، وأيقنت بأن الأغنياء بالفعل يبنون جنانًا يعيشون بها بأي وقت يرغبون لذلك لا يَهمهم جنان السماوات. كادت قدمي تنزلق أثناء حركتي بفعل الأرض المُبللة الباقية من أمطار الصباح، فتمسكت بذراع الحارس بجانبي والذي كاد أن يفتك بي حينها لولا سبب إلهي منعه من ذلك جعله يكتفي بأن يسبني أنا وعائلتي فطأطأت رأسي صاغرًا وأنا أحاول أن أركز على خطواتي أكثر من تركيزي على تأمل القصر الذي عندي شعور حد اليقين أنني لن أراه مرة أخرى بعد ذلك أبدًا. عشرة دقائق أو أكثر هي المدة التي قضيتها مترجلًا من البوابة الحديدية إلى باب القصر الذي كان هائلًا ومُخيفًا ومَهيبًا. بذات الوقت عندما شاهدته عن قرب كنت أتمنى أن أطالع كل ركن من أركان هذا القصر العتيق وأملي عيوني من جدرانه وأركانه وأوثق هذا كملفات فيديو على هاتفي، ولكن هيهات أن يحدث ذلك فلقد استوقفوني على مدخل القصر وأخذوا مني هاتفي، وبطاقة تحقيق الشخصية ومن ثم استلمني شخص آخر يبدو من ملابسه التقليدية

أنه خادم، وادخلني بداخل القصر الذي كان مُعتمًا للغاية ورائحته سيئة لا أعلم لماذا. شعرت بثقل الهواء المحيط بي سريعًا وانقبضت رئتاي بقوة وأخذت أتنفسُ بصعوبة لعدة دقائق. هنا إستوقفني الخادم سريعًا وهو يشير إلى غرفة على يساري اتجهت إليها سريعًا لأجد أمامي عدة أشخاص بالحلات الرسمية مثلي، أربعة عشر شخصًا لكي أكون دقيقًا يَجلسون على مقاعد مُرتبة على صف واحد. أشار إلي الخادم لمقعد فارغ فجلست عليه على الفور وأنا مرتبك، أطالع باقي الأشخاص الجالسين بجواري والذين كانوا لا يُعيرونني أي اهتمام. الجميع كان مهتمًا بنفسه ومنشغلًا بترتيب أفكاره. كنت أتابعهم بعيوني وأنا متوتر للغاية فالكثير منهم يرتدون ملابس فاخرة ولديهم أدوات مكتبية لم أشاهدها بحياتي. تساءلت بيني وبين نفسي هل هناك أي فرصة لي أمام هؤلاء؟ وإجابتي كانت بالطبع لا، ولهذا حاولت أن أخفف من توتري في التفكير في المنافسين بالوظيفة إلى الغرفة نفسها ومحتوياتها، فهي كانت كبيرة للغاية كبيرة لدرجة أنها كانت تَسِع خمسة عشر مقعدًا على صف واحد، وعلى الرغم من ذلك ما زال المكان يسع لعدد أكبر بكثير. السقف مرتفع لدرجة مخيفة. الثرايا الأثرية ما زالت محافظة على جمالها على الرغم من نقصانها لعدد من المصابيح، الغرفة ممتلئة باللوحات الملونة القديمة ولست أعلم هل هذه لوحات اصلية أثرية أيضًا أم أنها مجرد تقليد للصور الأصلية التي كانت بهذا المكان من قبل فبالتأكيد أي لوحة من تلك اللوحات سوف تحقق ثروة ضخمة لمُقتنيها. ظللت أحدق بكل شيء حولي بالغرفة من أرائك ومقاعد ومزهريات حتى الحوائط ألوانها

أخذت بتلابيبي وبعقلي، وظللت أعلق نفسي وأنا أفكر بعمق عن كيف كان يعيش سكان هذا القصر بهذا الترف الشديد كل يوم. تعالت الهمهمات حولي من منافسيني الجالسين بجواري يتحدثون إلى أنفسهم وإلى بعضهم البعض وهم غافلون عن كل هذا الجمال العبق حولهم. هم بالطبع يفكرون بطريقة عملية أكثر فإذا إستطاعوا الحصول على وظيفة هنا فسوف يُشاهدون كل هذا الجمال يوميًا، ولكن أنا أعلم بأن حظي بالقبول بهذه الوظيفة قد يكون معدومًا ولهذا لم أعبأ بما يفعلون إطلاقا. تعالت الهمهمات والمحادثات الجانبية حولي لدقائق ولكن ساد الصمت فجأة لدرجة أدهشتني ولكن عندما رأيت سبب صمتهم انقبض قلبي خوفًا أنا أيضًا. لقد أطل علينا من باب الغرفة رجل قوي البنية متوسط الطول بنهاية العقد الرابع من العمر ورأسه طالها الشيب بأنحاء كثيرة غير مُتناسقة من شعره. وقف أمامنا بكل عبوس ونفاد صبر يطالعنا بضيق يكاد يصل إلى درجة الاشمئزاز. كان يقف أمامنا بملابسه الرسمية التي يرتديها كبار الخدم، على الرغم من أننا تشككنا أن يقوم بمقابلتنا رئيس الخدم وليس أحد أصحاب القصر، ولكن عندما تحدث إلينا بصوته الرخيم الناعم القوي علمنا بأنه هو الشخص المنشود..

"لقد تجمعتم اليوم من أجل مقابلة العمل لدينا بالقصر، ولكن الأمر ليس سهلًا فنحن سنختار شخصًا واحدًا فقط، هذا الشخص سيكون الأفضل بينكم جميعًا للعمل هنا. الأجر سخي للغاية، وهناك تأمين طبي وتأمين اجتماعي ومزايا أخرى كثيرة سوف نتطرق إليها عند كتابة العقد"

لم يتحدث أحدنا أبـدًا من رهبة الرجل الـذي أمامنا، حضر وبصحبته خمسة آخـرون من مساعديه، ثلاث خادمات وخادمان يحملون بعض الأوراق بأيديهم، وقاموا بتوزيع تلك الأوراق علينا. أخـذت تلك الأوراق بيدي بالضبط كانت ثـلاث صفحات ويبدو أنها أشعار أو أغانٍ لا أدري لكنها كانت كلمات متناسقة ولها معنى مُحبب بالنفس والاذن، شعرتُ بالإرتباك ماذا أفعل بتلك الوريقات التي معي؟، نظرت بجواري فوجدت جميع المُتقدمين مثلي يشعرون بنفس الإرتباكِ وهم يتأملون الورق ويقلبونه بعدم فهم يبحثون على أي لغز أو سـؤال مخفيّ ما بين السطورِ، ولم يُمهلنا كبير الخدم فرصة للتفكير قبل أن يخبرنا بما سنفعله بتلك الوريقات فصاح علينا بصوت جهوري قوي..

"بين إيديكم الآن أبيات لبعض الأغاني القديمة، يجب عليكم أن تغنوها بصوت جيد وعالٍ الآن.. "..

نظر المتقدمون لبعضهم البعض بإندهاش وأنـا مثلهم أيضًا فنحن قد تقدمنا إلى وظيفة وليس تجربة أداء لفرقة غنائية أو ما يشبه ذلك.. وقررت أن أنسحب فأنا صوتي أبعد ما يكن عن الغناء، ولكنِ ترددتُ عندما وجدتُ أنه لم ينسحب أحد من المتقدمين أيضًا، وعلى الفور قام كبير الخدم بالإشارة إلى أول متقدم جهة اليسار وأمـره بأن يبدأ وهنا على الفور قام المتقدم الأول بإصدار خوار كخوار الثور وهو يزبد ويرعد بكلمات الأغاني غير المتناسقة والحان نشاز تجعل أي أذن موسيقية تفقدُ قدرتها على السمع بالحال، وأخذ باقي المتقدمين يضحكون ويتغامزون عليه وتوقعت أن يحذو حذوهم

كبير الخدم، ولكنه لم يُبدِ أي رد فعل إطلاقًا لا بالسلب أو بالإيجاب فكانت ملامحة جامدة كالمصطلح الشهير الذي اسمه "بوكر فيس". انتهى المتقدم الأول فأشار إليه كبير الخدم بالجلوس ومن ثم أومأ برأسه للمتقدم التالي فأخذ يحاول أن يُغني تلك الكلمات هو الآخر، واستمر الجميع على ذلك حتى وصل الدور عليّ، وهنا لم أتمالك نفسي من التوتر فوجدت يدي ترتعش وهي تحمل الوريقات رغمًا عني فحاولت أن أضغط عليها بقوة حتى أتمالك نفسي، ولمحتُ بطرف عيني كبير الخدم وهو ينظر إليّ بترقب ووجدت أن ملامحه ما زالت كما هي جامدة لا يتغامز عليّ أو يضحك أو يبدي أي ردة فعل، وهذا شجعني على أن أتمالك نفسي قليلًا وقمت على الفور بنطق الكلمات الموجودة أمامي بلحنها القديم فهناك بعض الأغاني التي أعرفها والبعض الآخر لم اتذكره، وانتهيت سريعًا وانا أحمدُ الله أنني لم أبلل بنطالي بتلك اللحظات المريرة، وعلى الفور قمت بالجلوس مكاني ووقف الذي بجواري ليكمل دوره هو الآخر، واستمررنا هكذا حتى انتهى جميع المتقدمين من تلاوة تلك الأبيات الشعرية، وحينها تركنا كبير الخدم بسرعة دون أن يفتح فمه نهائيًا ويخبرنا بنتيجة اختبارنا الغريب هذا وما علاقته بوظيفتنا المنشودة. ظلنا جالسين بمفردنا لعشر دقائق ومن ثم دلف إلى الغرفة أحد الخدم وأخذ يصيح علينا بسرعة أن نتبعه، فقمنا متململين وتبعناه إلى خارج الغرفة فوجهنا إلى غرفة أخرى بالقرب من مدخل المنزل وأوقفونا بداخلها بصف طويل خلف بعضنا البعض وتتقدمنا آلة يبدو أنها تفحص النظر فوقف جميع المتقدمين وأنا منهم بالترتيب أمام

تلك الآلة وتفحصتنا وتحدث المختص بأن نذهب إلى اختبار آخر وهو محاولة رؤية أشكال وحروف على لوحة بيضاء كبيرة بأحجام مختلفة، فحص كلاسيكي أيضًا للنظر. كان يرقبنا باهتمام شديد كبير الخدم ومساعدوه، ولم يُبدِ أي منهم رد فعل أيضًا على ما يحدث معنا، وبعد أن أنتهى الجميع، تحركنا لخارج القصر ومشينا لعدة دقائق جهة بحيرة المياه، ووجدنا قطعة من الأرض معدة بأجهزة وملابس رياضية، وأخبرونا أن نقوم بتغيير ملابسنا وارتداء تلك الملابس الرياضية، ففعلنا كما طلبوا ونحن ما زلنا لا نفهم ما يحدث حتى الآن، وبعد أن ارتدينا تلك الملابس طلبوا منا القيام بالإحماء قليلًا، ومن ثم الركض مجيئًا وذهابًا بحارة طولها عشرة امتار بأقصى سرعة ممكنة لدينا لمدة دقيقتين، وقمنا بتنفيذ ما طلبوا وسط تذمر ملحوظ من بعض المتقدمين على هذا النشاط الرياضي العنيف الذي سيقومون به، والوظيفة سوف تكون مكتبية ولا تحتاج لهذا، ولأصدقكم القول كنت أعتقد أن الأمر سهل وأن الكثير من المتقدمين كانوا لا يهتمون بلياقتهم عكسي فأنا أستمر بالمشي لساعات كثيرة بسبب بُعد منزلي عن مدرستي كثيرًا منذ أن كنت صغيرًا، وأيضًا حبي لممارسة لعبة كرة القدم، ولكن عندما بدأ هذا التدريب وجدت أن قوتي تضاءلت بسرعة شديدة، وأصبحت أنفاسي تنهج بعنف بالطبع لم أكن مثل معظمهم وهم يتساقطون أرضًا بسبب ضيق تنفسهم أو شد عضلي مفاجئ بأقدامهم، ولكن في النهاية نجح عدد منا بإكمال هذا الاختبار المُفاجئ، واستطعت أن أقوم بالذهاب والعودة ١١ مرة بدقيقتين، وتفاجأت بهذا ولكن كنت أعلم أني إذا قمت

بالتدريب قليلًا فكنت سوف أفعل أكثر من هذا بكثير. انتهى التدريب وقاموا بإدخالنا حمامات القصر وأخذنا حمام ماء بارد وسط هذا الجو الشتوي، وبعد أن انتهينا أخبرونا أنهم سيتواصلون مع الناجح منا هاتفيًا قريبًا، وخرجنا مرهقين من القصر لنجد سيارات خاصة قامت بتوصيلنا إلى أقرب محطة مركزية بالقرب من القصر، وعدنا لحياتنا ولم نعلم ما كانت تلك الوظيفة ولما تلك الاختبارات. ومرت الأيام سريعًا وفي اليوم السادس وجدت هاتفي يرن فقمت بالرد على المكالمة على الفور لأجد الصوت الرخيم القوي لكبير الخدم يتحدث معي على الهاتف فلم أنس نبرة صوته هذه أبدًا..

"مبارك لك.. لقد تم قبولك بالعمل لدينا بمرتب سنوي".. ".. يرجى إحضار الأوراق الرسمية المطلوبة منك المُرفقة على إيميلك الشخصي وسوف ننتظرك يوم الخميس القادم في العاشرة صباحًا لتبدأ العمل "..

ثم أغلق الهاتف وهنا شعرت بالفرحة الشديدة تنتابني. لقد قُبلت بالوظيفة، سوف أعمل بقصر هامبتون كورت وليس ذلك فحسب، بل تفوقت على اربعة عشر منافسًا آخرين لتلك الوظيفة، لقد تفوقت على الجميع. أول مرة في حياتي أشعر بمثل ذلك.. شعور الناجح المتفوق ليس الناجح على مضض أو بأقل رتبة بل ناجح مع مرتبة الشرف. أخذت أدورُ وأدورُ بغرفتي وأنا أكاد أطير فرحًا، لم يكن معي نقود في هذا الوقت ولكن لا مانع من التحدث إلى والدتي، واخبرها أن ترسل لي أموالًا، فهي لن ترفض أبدًا اذا ما أخبرتها أني سوف أعمل بوظيفة براتب مثل هذا وبقصر هامبتون كورت. أعتقدُ أنها

لن تصدق في البداية ولكنها ستكون مذهولة عندما أقوم بتصوير نفسي من داخل القصر، وأرسل لها تلك الصور فيما بعد، سأخبرها أن ترسلها لأخي لتثبت له أنني استطعت النجاح بمفردي بعيدًا عن محل الجزارة الذي يمتلكه ويعتقد بأنه محور هذا العالم، وهناك مديري السابق، يجب أن أرسل له صورة أيضًا وصديقتي السابقة التي تعتبرني مملًا، كيف ستراني مملًا الآن وأنا أعمل بداخل أقدم القصور الأثرية بالعالم؟. هناك الكثير والكثير ممن سوف أشعل قلبه بنار الغيرة وأتشفى منهم بنجاحي ولكن ليس الآن. يجب أن اتهيئ للعمل أولًا سوف أتصل بوالدتي فالنقود هي مأربي الوحيد حاليًا.

* * *

أول يوم لي بالعمل، الأمر كان أفضل مما توقعت، لم آخذ سوى عشر دقائق لتسليم الأوراق الخاصة بي، ومن ثم تم إعطائي ملابس جديدة ووضعوني بغرفة صغيرة للغاية، حجمها كان غير مناسب نهائيًا لحجم القصر الذي لا أستطيع أن تخطو قدمي به خطوة بدون موافقة كبير الخدم كما لاحظت بعد ذلك، فتبددت أحلامي باكرًا بالإنطلاق يمينًا أو يسارًا وأن أتفقد جميع أنحاء القصر كما أريد.. ولكن على الرغم من هذا لم أيأس فمن الممكن مع مرور الأيام واكتسابي لثقة كبير الخدم أن يسمح لي بالتجوال كما أرغب فيما بعد. ظللت بمفردي بالغرفة الصغيرة لمدة تُقارب الساعة تقريبًا وكنت ألاحظ من بعيد كاميرا مراقبة تتابعني من أحد زاويا الحائط المقابل لمكان جلوسي، ولهذا كنت أجلس مُتحفزًا ألا أصدر أي هفوة تُذكر لكي لا يؤخذ انطباع سيىء عني وعلى الرغم من حرصي هذا

فلم أستطع كتم توتري الذي جعل عرقي يغزو جسدي كالنمل الأحمر وهو يتكالب على جثة خنفساء نافقة بمنتصف صيف حارق بإحدى الغابات الافريقية..

أخذت أمسح عرقي باهتمام شديد بقطعِ المناديل المُبللة التي كانت بجواري وأضعها بسلة المهملات خلفي، وظللت هكذا بعمل دءوب أمسح عرقي بهمة، ومن ثم ألقي مُخلفاتي بسلة المهملات فيهزمني العرق من جديد لأعيد الكرة مرة أخرى حتى أتيت على علبة المناديل المبللة بالكامل، وهنا صدمت من هذا الأمر غير المتوقع فأخذت أقلب يمينًا ويسارًا بسرعة بجواري بحثًا عن علبة أخرى أضعها مكان التي انتهت هذه، ولكن صوت مدير الخدم وهو يسعل لي عندما دلف من الغرفة صدمني أكثر لدرجة جعلتني أكاد أسقط من مقعدي، وقفزت من مكاني وأنا مرتبك بشدة أمام هالة كبير الخدم القوية المحيطة بي وقفت أمامه وبحار العرق تتصبب من جميع مسامي كفيضان نهر التايمز قديمًا. كان يقف أمامي يتوسط خادمين يُطالعني بنظرات باردة مليئة بالكره والضيق لقد شعرت بمدى بغضه لي سريعًا. إن نظراته توحي بعكس نظراته السابقة بالاختبارات التي كانت مُحايدة ولا مبالية. اقترب مني قليلًا فشعرت بالذعر، ولكن تماسكت وظل يقترب مني أكثر فأكثر حتى شعرت بأنفاسه على وجهي، وشعرت بعدم الارتياح فأشحت بعيني بعيدًا عنه ظل يُحدق لي قرابة الدقيقة والتي مرت كالدهر أمامي حتى نطق بكلماتٍ كنت أخشاها..

"أنا غير سعيد باختيارك لهذه الوظيفة، أعلم بأنك غير كُفء لها

أبدًا، وسوف أثبت ذلك خلال الأيام المُقبلة، منذ هذه الساعة سوف أراقب أداءك دائمًا، أي هفوة صغيرة، أي خطأ سواء مقصود أو غير مقصود سوف أطردك فورًا، هل فهمت حديثي جيدًا؟.. "

لم أستطع أن أجيب سوى أن أومأ برأسي سريعًا.

هنا تنهد كبير الخدم وتراجع خطوة للوراء، وأشار بإصبعه إلى الخادمين خلفه فتقدم الذي على اليمين وهو يَحمل صينية فاخرة موضوع عليها بعض الأشياء التي لم أرها جيدًا. سحبها كبير الخدم بهدوء ورفعها بيديه أمامي وهو يتحدث إليّ.."هذه الأدوات منذ اليوم بعهدتك وأنت مسئول عنها تمامًا"

وقام بإعطائي الجهاز الذي بيده اليمنى وهو ما زال يُحدثني..

"هذه سماعة صغيرة سوف تضعها بأذنك اليمنى طوال ساعات عملك هنا، واحرص ألا تَضيع منك أبدًا.. "

وقام على الفور بوضع السماعة بأذني باحترافية شديدة شعرت بعدم الارتياح في البداية، ولكن بعد عدة دقائق لم أشعر بالانزعاج منها بعد ذلك أبدًا يبدو أنها مصنوعة من مواد عالية الجودة ومريحة. على الفور قام كبير الخدم برفع الجهاز الآخر الذي كان بيده اليسرى أمامي..

"أما هذه فهي نظارة سوف ترتديها طوال ساعات عملك أيضًا، وغير مسموح لك بنزعها من وجهك أبـدًا، وإذا قمت بنزعها هي أو السماعة التي بأذنك فسوف نعلم على الفور، وهنا سوف نقوم بالاستغناء عنك بالحال"

قمت بالإيماء برأسي وأنا أتساءل بعقلي ما هذا الهراء فمن الممكن أن تسقط مني عندما انحنى أو ما خلافه، وعلى الفور تحدث

كبير الخدم وكأنه يستطيع قراءة ما بعقلي..

"إذا وجدت نفسك بوضع ما قد تسقط منك تلك الأدوات على الرغم عنك اضغط على هذا الزر مرتين، وأشار على زر صغير بوسط سماعة الهاتف وزر آخر موضوع خلف ذراع النظارة الخلفي، فتحسست تلك الأزرار سريعًا بيدي ومن ثم تابعت كبير الخدم وهو يشير إلى الخادم الآخر الذي على يساره وهو يحمل صينية أخرى موضوعًا فوقها بعض النقود التي التقطها كبير الخدم سريعًا ورفعها أمامي..

"سوف اعطيك كل يوم عمل ١٥٠ بونڈًا مثل هذه. تلك النقود هي مصاريف عملك خلال اليوم، وأريدك أن تُحضر لي قسيمة شراء بكل شيء تصرفه من تلك النقود وما يتبقَى سوف تُعيده لتأخذ ١٥٠غيرها.. هل فهمت ما أقوله جيدًا"..

أجبته على الفور.."نعم لقد فهمت، ولكن لم أفهم حتى الآن ماهي وظيفتي وماذا سأفعل؟"

"وظيفتك هي أنك سوف تخرج من القصر يوميًا، وتُنفذ أوامر الشخص الذي سيتحدث إليك من خلال هذه السماعة فقط.."

وهنا اقترب مني مرة أخرى وأخذ ينظرُ لي بنظراتٍ مخيفة ومرعبة..

"إياك، ثم إياك أن تتحدث إليه نهائيًا، يُخبرك أن تذهب يمينًا فتفعل، يخبرك أن تذهب يسارًا فتفعل، ولكن لا تتحدث إليه أبدًا أبدًا أبدًا، إذا فعلت هذا فسوف يكون هذا هلاكك، هل فهمت؟!"

ابتلعتُ ريقي مصدومًا من حديثه ومن تلك الوظيفة الغريبة، لم أفعل شيئًا سوى أن أومأت برأسي مُصدقًا على حديثه، فأشار إلى

جهة الباب فخرجت صحبة الخادمين يُصحبونني حتى خرجت خارج بوابة القصر وأصبحت بمفردي. أخذت أنظر إلى القصر بحراسه وهم يرقبونني مغادرًا، وأنا متعجب من هذه الوظيفة. أنا لم أفهم ما المفترض أن أفعل بالضبط. تحركت بشوارع البلدة وأنا على غير هدى شعرت بالجوع، فقررت الذهاب إلى أحد المطاعم، فتناولت وجبة سريعة ومن ثم توقفت بداخل طابور لطلب القهوة التركية التي يشتهر بها هذا المقهى. لم يعتد وجهي بعد على وجود النظارة فوقه، وكنت أتلمسها كل بضعة دقائق عكس سماعة الأذن التي تناسيت بالفعل أنها بأذني عدة مرات على الرغم من أنها كانت تُشعرني بالحرارة في بعض الأوقات، وأثناء انتظاري لاحظت هنا أن هناك صوت تنفس لشخص ما بأذني. يبدو بالفعل أن هناك شخصًا ما على اتصال بي. خرجت من الطابور في الحال وأنا مُتحفز وعلى استعداد لسماع صوت هذا الشخص وما سيطلبه مني، ولكن لم أسمع شيئًا، ظللت متحفزًا وأضع يدي على أذني لكي أمنع أي صوت أن يدلف لي غير صوت صاحب العمل الغامض هذا، ولكن لم يحدث أي شيء لم يصدر ببنت شفة أو يظهر أي بادرة للحديث.. هممت أن أتحدث أنا إليه ولكن خشيت من تحذير كبير الخدم لي، وهنا فضلت أن التزم بتعليماته حرفيًا، ولم أتحدث أنا أيضًا.. ظللت على هذا الحال لمدة ساعة تقريبًا. شعرت خلالها بالملل الشديد ولم أجد ما أفعله فتحركت جهة المقهى مرة أخرى لكي أتناول تلك القهوة من جديد، وبالفعل بعد انتظار ما يقارب النصف ساعة حصلت على قهوتي التركية، وهممت بطريقي من جديد على غير هدى.. قمت

بالتنقل بالتاكسي إلى عدة مناطق اتجول بها مُترجلًا وأنا أفكر في تلك الوظيفة غريبة الاطوار، هل سأظل على هذا الأمر فيما بعد؟، لا أعتقد ذلك هداني تفكيري أنني بمرحلة ملاحظة الآن بالتأكيد يقوم كبير الخدم بمراقبتي لكي يرى بنفسه هل أنفذ أوامره أم لا؟، وها أنا أقوم بتنفيذها على خير وجه. لقد شعرت بالتوتر والقلق من المستقبل فكنت أخشى أن أكون فعلت شيئًا خاطئًا يستجوب طردي خلال أول يوم عمل لي، ولكن عندما أفكر بعمق أجد أنني لم أفعل شيئًا خاطئًا ابدًا، ولهذا قررت ألا أشعر بالخوف وأطمئن نفسي، ولكن على الرغم من هذا لم يَكُف عقلي أبدًا عن تأنيبي من خطأ لم أفعله، فعلى الرغم من عدم فعلنا للخطأ إلا أن الشعور بالذنب لا يُغادرنا، نحن البشر متخصصون بتعذيب أنفسنا وجلد ذاتنا بداعٍ وبدون داعٍ هذه وظيفة نبرع بها ونفعلها عن طيب خاطر، وهذا أكبر دليل على حماقتنا كالمعتاد، مر الوقت سريعًا، فعندما تكون حر نفسك ولا تجد ما تفعل تجد الوقت يمر بسرعة كالماء المُنساب بين أصابعك، ولكن إذا كنت بصدد عمل أو وظيفة ما فالعكس صحيح، يمر الوقت كمن يحملُ صخرة ضخمة على ظهره ويصعد بها إلى قمة جبل الهيمالايا. حان وقت عودتي إلى القصر، أوقفت تاكسي وعدت مسرعًا إلى القصر وفي لحظة وصولي وجدتُ خادمين في انتظاري اصطحباني إلى داخل القصر، ومن ثم إلى تلك الغرفة الصغيرة من جديد لأجد كَبير الخدم يترقبني بتلهف شديد واضح على وجهه آثار استغرابي فعندما شاهدني سألني سريعًا.."ماذا حدث، اخبرني ماذا فعلت اليوم؟"

انقبض قلبي على الفور وأنا أحاول أن أتصنع الجلد وأرتب أفكاري..

"حسنًا يا سيدي، لقد فعلت مثل ما طلبت مني، أخذت أتجول في أنحاء البلدة منتظرًا أن يتحدث لي أحد، ولكن لم يتحدث أي شخص نهائيًا"

هنا نظر إلى كبير الخدم مستنكرًا.."ماذا...؟ لم يتحدث إليك أحد، هل أنت متأكد؟"

"نعم يا سيدي، طوال اليوم لم يتحدث لي أي أحد، وأنا أيضًا لم أتحدث إلى أحد عن طريق السماعة كما أخبرتني"

نظر كبير الخدم بعيونه الخبيرة يتحقق من مدى صدقي كما أعتقد ولحظات وجدته ينظر إلى الأرض شاردًا وهو يُداعب ذقنه محتارًا، ومن ثم نظر لي مرة أخرى..

"أعطني ما تبقى من النقود وقواسم الشراء والسماعة والنظارة"

فقمت على الفور بخلع السماعة والنظارة، وأعطيتها للخدم حولي وقمت بإخراج ما تبقى من النقود وقواسم الشراء وسلمتها لكبير الخدم، فنظر فيها سريعًا ومن ثم أخبرني بأن أنصرف، فلقد انتهى عملي لهذا اليوم، فصحبني الخادمان حتى باب القصر سريعًا، وأخذت أنظر إليهما وأنا مبتسم، فلقد كان بالفعل أول يوم لي بالعمل أفضل مما توقعت. إنها وظيفة عظيمة يدفعون لي النقود من أجل أن أتجول في المدينة وأشاهد معالمها، هل هناك أفضل من هذا في العالم..

عدت إلى العمل في اليوم الثاني الذي لم يختلف كثيرًا عن اليوم الأول سوى ببعض التفاصيل البسيطة، وكذلك اليوم الثالث والرابع،

وفي اليوم الخامس اختلف الأمر قليلًا، لقد تحركت خارج القصر وأنا أضع النظارة على وجهي والسماعة على أذني كالمعتاد وهممت بمشاهدة معالم المدينة وتناول الغداء ومن ثم العودة إلى القصر في نهاية اليوم كعادتي، وفجأة سمعت صوتًا قادمًا من السماعة بأذني.. صوت ضعيف وعلى الفور قمت بالتركيز على الصوت أكثر وأكثر، واكتشفت أنه صوت نحيب. أحدٌ ما يبكي في الجهة الأخرى من السماعة وأنه بالتأكيد صوت امرأة.. انتابني الفضول لأعلم ما سبب بكائها، ولكن تذكرتُ تحذيرات كبير الخدم لي بألا أتحدث مع أحد. ارتفع نحيب المرأة أكثر وأكثر. شعرت بصوتها الرقيق العذب وهو يرن بأذني ولا أعلم لماذا شعرت بالحزن من بكائها حتى بدون أن أعلم سببه؟. ترددت كثيرًا بين التحدث إليها أو الإصغاء إلى أقوال كبير الخدم، ولكن على الرغم عني وجدتني أتحدث إليها بقلق..

"سيدتي، لماذا تبكين؟، هل هناك شيء حدث معك؟، هل أستطيع مساعدتك بشيء ما...؟!! "..

سمعتها تصمت قليلًا كمن تفاجأت بسماعي لها ولكن نحيبها لم يلبث أن عاد سريعًا، فسألتها مرة أخرى بقلق شديد.. "سيدتي، اخبريني ما يُحزنك، أنا أستطيع مساعدتك إذا رغبتي"

وهنا سمعت صوتها تصرخ علي بغضب.."لا تتحدث معي، أنت واحدًا منهم، أنت مثلهم "

ثم بكت بصوت عالٍ، ولكن فجأة اختفى الصوت سريعًا من أذني. ناديت عليها كثيرًا، وحاولت أن أحاورها ولكن لم تعاود الرد عليّ نهائيًا.. همت بالشوارع على غير هدى، وأنا أحاول أن أجد

تفسيرات منطقية لما يحدث.. من تلك الفتاة؟! ولماذا لم يُخبرني عنها كبير الخدم؟.. ولماذا يُمنع عليّ أن أتحدث إليها...؟، وما أفعله أنا بالخروج كل يوم بشوارع المدينة وأنا أضع سماعة أذن ونظارة، وماذا تقصد بأني واحدًا منهم؟. أسئلة كثيرة وليس لها إجابات ولكن تذكرت ما كانت تخبرني به دائمًا أمي بأن الأيام كفيلة بأن تُجيب على كل سؤال لك مجانًا، وأنا هنا ليس لدي أكثر من الأيام، فلن أترك تلك الوظيفة أبدًا فإنها أفضل وظيفة عملت به بحياتي، إنها أشبه بوظيفة الأحلام بالنسبة لي، فيكفي أني أرى القصر كل يوم حتى لو لم أتجولْ به كما أريد الآن فسوف أتجول به فيما بعد. المهم ألا أغضبَ كبير الخدم أبدًا، ولهذا قررتُ أن أخبره بكل شيء حينما أراه، ولكن سوف أغفل عن ذكر بأني قد تحدثت إليها حتى لا أتعرض لغضبه، وبالفعل في نهاية ساعات عملي أخبرته أثناء تسليم عهدتي ما حدث، وإني سمعت فتاة تبكي، وهنا تملك الغضب وجه كبير الخدم بشكل واضح وأخذ يجذب ملابسي بعنف وهو يسألني مكررًا..

"هل جاوبتها...؟!!..هل تحدثت إليها..؟!!.. أخبرني على الفور، ماذا قلت لها؟!"..

شعرت بقلبي ينبض بشدة وشعرت بأني فعلت أمرًا خاطئًا بإخباره ما حدث، فنفيت على الفور الأمر وأخذت أدافع عن نفسي..

"صدقني يا سيدي، صدقني، أنا لم أتحدث إليها أبدًا، لا اخفيك سرًا كنت أريد أن أخفف عليها بكاءها، ولكن تذكرت حديثك ولهذا لم أتحدث إليها"

جحظت عيون كبير الخدم وهو ينظر لي بغضب، ومن ثم ترك

ملابسي وأخبرني بأن أذهب إلى المنزل. تنفست الصعداء أخيرًا وأنا خارج القصر، وقد قررت في داخل نفسي بأن هذه المرة الأخيرة التي سوف أخبر بها كبير الخدم بالحقيقة، فالكذب يُشعر الجميع بالراحة والصدق يُلقي بصاحبه ببراثن الندم والملامة. سوف أكون كاذبًا سعيدًا على أن أكون صادقًا نادمًا.

بصباح اليوم التالي ذهبت إلى العمل كالمعتاد وتسلمت حاجياتي من كبير الخدم، ولكن حاولت أن أتذاكى قليلًا فسألته وأخذت أسعل، وأنا أحاول كتمان توتري واستجمعت شجاعتي وسألته..

"هل من الممكن أن تخبرني يا سيدي من تلك الفتاة التي كانت تبكي بالأمس.. إذا لم يكن لديك مانع "..

هنا نظر لي غاضبًا وصرخ عليّ بصوت جهوري.."أنت أيها الوغد الحقير، لا تتحدث عن هذ الأمر مرة أخرى ولا تتدخل فيما لا يعنيك أبدًا، وإلا سوف أطردك من تلك الوظيفة حالًا.. "..

على الرغم من إساءته لي، ولكن لا أعلم لماذا لم أشعر بالغضب منه بل على العكس شعرت بأنه يجب أن أسترضيه وأهدئ من غضبه علي، فقمت على الفور بالاعتذار الطويل له واخذت أحاول أن استرضيه بكل ما أملك من قوة، وبعد عدة دقائق من الاستجداء والاعتذار تنهد قليلًا ومن ثم حدثني بنبرة مُحذرة..

"لا تذكر هذا الأمر مرة أخرى، ولا تنسَ مكانتك هنا، أنت مجرد موظف لدينا نستطيع استبداله بمئة من طينته بالصباح الباكر، هل فهمت؟"

أومأتُ برأسي له ولساني ما زال يُردد بعبارات الأسف والاستجداء له فلم يَجِبْ عليّ، وأشار إليّ أن أغرب عن وجهه، وفعلت ما طلب وأنا

أشعر بالاندهاش من رد فعلي، فهو مجرد كبير خدم ويُعاملني بهذه الطريقة، هو يراني أقل بكثير من الخدم الذين يعملون لديه. حاولت أن أشعر بالإهانة ولكن لم اكترث نهائيًا، فلقد استطعت أن اقتطع من المصروف اليومي الذي آخذه منهم مبلغًا جيدًا لنفسي بمجرد تزوير بعض قواسم الشراء البسيطة، ولهذا أصبح لديّ مبلغ نقدي يومي جيد غير ذلك الراتب الذي اتقاضاه كل آخر أسبوع. مرت الأيام سريعًا وأصبحت أعمل بالقصر لمدة خمسة عشر يومًا الآن، ولم أسمع أي صوت نهائيًا من تلك الفتاة الباكية خلال هذه المدة..

* * *

على الرغم من المعاملة الجافة التي أتلقاها من كبير الخدم في العادة، ولكن كنت أشعر هذا اليوم بالراحة النفسية الشديدة، فلقد زاد وزني بضع باوندات وقمت بشراء بعض الأشياء التي كنت أرغب بها منذ زمن بعيد، وأصبحت ارتدي ملابس غير رسمية أثناء تَنزهي وعند العودة إلى القصر أبدلها إلى رسمية مرة أخرى.. كنت أمتلك مالًا جيدًا ووقت فراغ كبير، ففكرت بمواعدة فتاة أشاطرها وقت تنزهي ومشاعري الجياشة وهرموناتي الفياضة، وأخذت أفكر بمن أواعد من جديد، هل أعود إلى صديقتي السابقة أم أنتقل إلى فتاة جديدة وأبدأ قصة جديدة من حياتي مع فتاة جديدة مصاحبة لوظيفة جديدة؟، فملتُ إلى اختيار فتاة جديدة ولهذا أخذت أتردد على المقاهي والمطاعم لعلّي أجد فتاة بمفردها فأقوم بمواعدتها، وتحركت صوب أقرب مطعم عائلي بجواري، وطلبت وجبة صغيرة حتى إن لم أجد ضالتي بهذا المطعم أنتقل إلى مطعم آخر ويكون

هناك مُتسع بمعدتي لوجبة أخرى، وهنا شاهدت النادلة بالمطعم ولفتت انتباهي. إنها قصيرة وشقراء من نوعي المفضل، أشرت إليها فتقدمت جهتي بثبات وهي مبتسمة، وانارت ابتسامتها وجهها في الحال أو هذا ما كنت أعتقد حتى رأيت أسنانها الصفراء بارزة وترامي الي أذني صوتها، وهي تخبرني ما هي طلباتي، وسمعت اللدغة الواضحة بحديثها هنا تبددت أحلامي على الفور، فطلبت منها الوجبة التي أريدها، وأخذت أرمقها بحسرة وهي تتحرك جهة طاولة أخرى تحمل آنيتها الفارغة، وهنا شاهدتها وهي تحاول أن تحفظ توزان كوب فارغ فوق الصينية أمامها الذي أخذ يتراقص لعدة ثوانٍ حاولت الفتاة المسكينة خلالها أن تلتقطه، ولكنه سقط متحطمًا على الأرض في النهاية وسبب صوت تحطمه انزعاجً كبيرًا لرواد المطعم، فصرخ عليها في الحال صاحب المطعم وهو ينعتها بالحُمق، وفي نهاية قصيدة توبيخه أخبرها بخصم ثمن هذا الكوب من راتبها، وهنا رضخت الفتاة المسكينة، ولم تتحدث فقررت بيني وبين نفسي أن أساعدها قليلًا وأعطيها مبلغًا كبيرًا من البقشيش حتى يُجزي قيمة هذا الخصم براتبها. تابعت على الفور الفتاة وهي تُزيل بقايا الكوب الزجاجي من الأرض، ولا أعلم لماذا هنا تذكرت اغنية "Threw It On The Ground"لفرقة "the lonely island".. وتذكرت مشهد المغني وهو يلقي بجميع ما يرَاه أرضًا وهو يَصرخ بأنه لا يريد أن يكون جزءًا من النظام، وأخذت أضحك بشدة فرمقتني الفتاة بنظرات غاضبة، وهي تعتقد بأني أضحك على مأساتها، وهنا حاولت أن أمسك ضحكاتي وأدرت وجهي بعيدًا

عنها، وأنا أشعر بالضيق لجعل حياة تلك الفتاة المسكينة أسوأ من الأول. أنهيت طعامي سريعًا وتحركت جهة الفتاة، وأنا متلعثم حاولت أن أعتذر لها، ولكن لم أستطع فاعطيت لها النقود بيدها، وتحركت إلى خارج المطعم مسرعًا. التفت إليها وأنا أتحرك ناحية الجهة الأخرى من الطريق لأشاهدها وهي تنظر إلى النقود بيدها قليلًا، وهي مندهشة ومن ثم ابتسمت وهمت عائدة لعملها. شعرت بالرضا قليلًا عن نفسي وأنا بطريقي، فلا يوجد شيء بالعالم أفضل من أن تجعل شخصًا يبتسم بفعل فعلته مهما كان صغيرًا.

ظللت أتبختر بمشيتي وأنا أضع يدي بجيبي سعيدًا، وأغني كلمات أغنية "Threw It On The Ground"وظللت أدندنها بلحنها حتى وصلت إلى مقطع..

Two Hollywood phonies try to give me their" autograph
!Ground
!Nobody wants your autograph, phonies
Then the two phonies got up
Turned out they had a taser
And they tased me in the butt-hole
Fell to the ground
The phonies didn’t let up
Tasin’ on my butthole over and over
‘I was screamin’ and squirmin

My butt-hole was on fire
The moral of the story is
You can’t trust the system
Man!

وتذكرت حينها مشهد الممثلين المشهورين Ryan Reynolds وElijah Wood وهما يسقطانه أرضًا، ويضعان الصاعق بمؤخرة المغني بشكل مضحك، وأخـذت أردد المقطع الأخيـر I was screamin› and squirmin›– My butt–hole was on fir..

وأنا أصرخ بصوت عالٍ، وهنا سمعت ضحكًا شديدًا للغاية يرن بأذني. بالفعل كما أعتقدت أنت إنه ضحك الفتاة التي كانت تبكي من قبل. أسمعه بأذني من خلال السماعة الصغيرة الآن. توقفت مصدومًا، وأنا أضع يدي على السماعة دون أن أشعر. إن الفتاة ما زالت تستمع إليّ، لقد نسيت تمامًا أنها كانت متواجدة فلم أسمع صوتها بتاتًا خلال تلك الفترة، وهذه المرة أسمعها تضحك بدلًا من أن تبكي بل الأفضل من ذلك أنها تضحك بشدة. هنا تشجعت على الفور وتحدثت إليها"هل أنت هنا يا سيدتي؟، هل تسمعيني الآن؟.."

جاوبتني بخجل..

"نعم أسمعك جيدًا. أنا آسفة إذا ضحكت على غنائك فأنا لم أقصد ذلك، ولكن صوت غنائك وكلمات الأغنية كانت مضحكة للغاية"

ضحكت على الفور خجلًا..

"نعم.. نعم، إنها أغنية مضحكة بالفعل"

سألتني بفضول.. "هل هذه الأغنية من تأليفك...؟! "

شعرت بالاندهاش من سؤالها، فهذه الأغنية مشهورة بالفعل

"لا أنها أغنية مشهورة وليست من تأليفي. ألم تسمعيها من قبل؟"

"لا، هذه المرة الأولى التي أسمعها بها.. "

"حسنًا إنه أمر بسيط، شاهديها على الإنترنت، اسمها"Threw It On The Ground"

وهنا سألتني أكثر سؤال أثار استغرابي بحياتي كلها، فلقد سألتني بكل اندهاش..

"ماهو الإنترنت؟"

.....

...

..

.

هذا لا يمكن.. هذا غير معقول.. انه من المستحيلات.. من في هذا العصر لا يعلم ما هو الإنترنت؟، هل هذه الفتاة حمقاء أم تعتقد أنني هو الأحمق؟، فسألتها مستنكرًا غاضبًا

"هل بالفعل لا تعلمين ما هو الإنترنت؟!!"

أجابتني بسرعة مريبة.."لا. ما هو؟!"

ظللت مصدومًا مشدوهًا لا أستطيع أن أرد عليها. هل من الممكن بالفعل أن يكون شخص في هذا العالم الآن لا يعلم الإنترنت، وإذا كان هذا حقيقيًا فلماذا؟، وكيف سأستطيع أن أقوم بشرح كيان الإنترنت كله ببضع كلمات؟. لم تساعدني كلماتي للتعبير عما يدور بعقلي من أفكار الآن، فوجدتني أسألها سؤالًا مختلفًا تمامًا عما بخلدي..

"ماهو اسمك...؟!"

هنا وجدتها تتلعثم وهي مترددة..

"أنت.. أنت لست مثلهم.. أنا أعتقد أنك مختلف عنهم، ولهذا سأخبرك باسمي، أنا ادعى بيلا.."

لفت انتباهي مرة أخرى تحدثها عن الآخرين. يبدو أن هناك أمرًا سريًا يحدث مع تلك الفتاة. طردت شكوكي سريعًا وأنا أتحدث إليها بلين لكي اكتسب ثقتها

"اسمك بيلا. إنه اسم رائع، إنه غير شائع بالمملكة، ولكنه جميل وذو وقع موسيقي، ما هو عمرك بيلا...! "

اجابتني مترددة: "أنا.. أنا لا أعلم "

سألتها مستغربًا:"لماذا لا تعلمين عمرك؟!"

أجابتني بثقة شديدة:"لم يسألني أحد عن عمري من قبل.. "

شعرت بأن الفتاة صادقة وساذجة بنفس الوقت. انتابتني الشفقة والفضول لمعرفة خلفية تلك الفتاة التي بدا من صوتها أنها ما زالت مراهقة بعمر السابعة عشرة عامًا أو أكبر قليلًا. حاولت ألا ارهقها بأسئلتي كثيرًا، وأدع المحادثة تستمر بيننا بطريقة طبيعية..

"أخبريني بيلا، أين أنت الآن..؟!"

"أنا بغرفة مظلمة "

مندهشًا متعجبًا سألتها على الفور:"بغرفة مظلمة، أين تلك الغرفة يا بيلا؟، هل هي بقصر هامبتون كورت؟"

"لا أعلم. ما معني قصر؟!"

مرة أخرى أشعر بأني أحدِثُ طفلًا صغيرًا من العصر الحجري

وليس شخصًا بالغًا يعيش بحقبة الأقمار الصناعية واستكشاف الفضاء:"الا تعلمين ما هو القصر؟، اووه، يبدو أن الأمر سيكون صعبًا، القصر هو منزل، أتعلمين ماهو المنزل.؟! "

"نعم أعلم المنزل هو المكان الذي يعيش الناس به"

"بالضبط، القصر هو أيضًا منزل يعيش الناس به، ولكنه ضخم وكبير للغاية يستطيع أن يعيش به المئات من البشر بوقت واحد "

سألتني بحماسة شديدة..

"هل يستطيع المئات من البشر العيش بهذا القصر. إنه شيء رائع، أتمنى أن أستطيع أن أعيش هناك بيوم ما، هل هو كبير مثل هذا المبني الذي أمامك؟!"

وهنا نظرت أمامي في الحال لأجد منزلًا مكونًا من ثلاثة طوابق بالقرب مني، فشعرت بالصدمة من سؤالها فتوجهت أيضًا لها بسؤال:

"هل ترين هذا المنزل الآن يا بيلا...؟!"

"نعم أراه"

انتابني الفزع لثوانٍ وأردت أن اقطع الشك باليقين، فوضعت يدي أمام وجهي وتحدثت إليها..

"ماذا تشاهدين الآن يا بيلا؟!"

ضحكت وهي تحدثني.. "أنت تصنع حركات مضحكه بيدك الآن "

صدمة أخرى جديدة انقبض من خلالها قلبي..

"هل تشاهدين كل ما أراه الآن يا بيلا..؟!"

"نعم، أشاهدك الآن، وأنت تنظر لهذه الفتاة الجميلة وهي تمشي أمامك.."

صرخت على الرغم مني.."اللعنة انها تشاهد كل ما أراه.."

فأجابتني بتلقائية.."نعم، أنا اشاهد العالم الذي حُرمت منه من خلال عيونك الآن. لا تعلم كم أنا سعيدة بهذا، فأنا لم أخرج من غرفتي هذه قط معظم حياتي.. "

هنا علمت أخيرًا لماذا أرتدي هذه النظارة والسماعة واخرج مُتسكعًا كل يوم. كل هذا من أجل هذه الفتاة الصغيرة، لكي تُشاهد العالم من خلالي، عقلي امتلأ بالأسئلة والحيرة والقلق. هل كانت تراني وأنا أقوم بتزوير قواسم الشراء خلال تلك الفترة؟، هل ستخبر كبير الخدم؟، هل كبير الخدم كان يُشاهد أيضًا ما أفعله خلال تلك الأيام السابقة؟، وإذا كان يُشاهدني وأنا أفعل ذلك لماذا لم يطردني؟، هل من الممكن أنه يريد أن يجمع تلك التسجيلات ليقدمها للشرطة لكي تقوم بسجني؟!، وهنا شعرت بالخوف الشديد من هول هذه المفاجأة فسألتها على الفور..

"هل كبير الخدم يشاهد تلك الصور معكِ يا بيلا...؟!"

مندهشة:"كبير الخدم!!"

"نعم الرجل الضخم الذي لايتحدث كثيرًا وشعره رمادي "

"أتقصد جورج.. لا.. لا يرى أحد العالم بعيونك سواي أنا فقط "

فلتت تنهيدة ارتياح مني على الفور، وأمسكت بقلبي الذي كان يندفع كالثور الهائج بين ضلوعي أحاول أن أهدئه ولو قليلًا من ثوران بركان الخوف الذي كان بداخلي منذ قليل. إذن كبير الخدم يُدعى جورج هذه هي المرة الأولى التي أعلم بها اسمه خلال الأيام السابقة فهو لا يعطيني فرصة للتحدث معه أو مع أي فرد من الأفراد العاملين

بالقصر نهائيًا، ولكن لايهم فبيلا الآن هي مصدر معلوماتي الوحيد الذي سوف أعلم من خلاله كل شيء عن كبير الخدم وسوف أحل هذا اللغز في النهاية، وعلى الفور توجهت بسؤالي إلى بيلا..

"بيلا.. لماذا أنت وحيدة في تلك الغرفة؟، لماذا لاتخرجين من تلك الغرفة؟!"

"لأني ممنوعة من الخروج منها، وعندما أطلب من جورج أن يدعني أخرج يغضب كثيرًا ولا يسمح بذلك "

"هل تعلمين لماذا أنت محبوسة بغرفتك يا بيلا...؟!"

صمتت قليلًا ومن ثم أجابتني مترددة،"نعم أعلم.. "

سألتها بلهفة شديدة.. "ما هو السبب إذن يا بيلا "

وهنا صمتت بيلا تمامًا، حاولت أن أعيد عليها السؤال فلم تُجبني، فخشيت أن أفقد ثقتها التي نلتها بصعوبة فقمت، بالتحدث عن كبير الخدم، فيبدو عليها أنها متفتحة بالحديث عنه أكثر من نفسها..

"بيلا، هل كبير الخدم، أقصد جورج، هل يعاملك بسوء؟ "

اجابت نافية على الفور.. "لا..لا.. جورج يعاملني جيدًا، لقد أحضر لي قطة عندما طلبت منه ذلك، وعندما أطلب منه شيئًا يحضره لي عندما يستطيع "

بفضول شديد : "إذن لماذا يا بيلا لم تطلبي منه أن يدعك تخرجين من الغرفة "

"لقد طلبت منه هذا كثيرًا، ولكنه يخبرني بكل مرة أنه لا يستطيع، وأخبرني أنه قام بتوظيف شخص ما لكي يجعلني أرى العالم وأسمعه من خلاله. هذا أقصى ما يستطع أن يقدمه لي "

"وهذا الشخص بالتأكيد هو أنا.. "

"نعم أنه أنت.. "..ثم ضحكت قليلًا..

تحيرت من حديثها، هل يكون كبير الخدم جورج هذا شخصًا جيدًا عكس ما أراه أنا، اممم، لا أعلم هل هو جيد أم لا، ولكنه من الواضح أني لا أروق له فهو يعاملني بسوء دائمًا، ولكن على الأقل فهو يعامل تلك الفتاة المسكينة جيدًا على حسب كلامها، فكرت بلحظات قليلة عن وضعي الحالي وقررت أن أستغل هذا الأمر لصالحي فتحدثت إليها مقترحًا..

"ما رأيك يا بيلا بهذا الاقتراح، تخبريني عن أي شيء تريدين معرفته أو رؤيته وسوف أفعله بالحال، ولكن لا تخبري كبير الخدم، أقصد جورج بذلك، إذا سألك في مرة بأننا نتحدث فلا تخبريه نهائيًا عن هذا الأمر. إنه سرنا الصغير، ما هو قولك"

"حسنًا سوف أفعل، فهو أخبرني بألا أتحدث إليك من قبل، ولكن يبدو عليك بأنك شخص طيب ومختلف عن الباقي"

آثار الأمر اهتمامي.. "من هؤلاء الأشخاص الذين يعاملونك بسوء...؟!"

"الجميع.. الجميع بلا استثناء يعاملني بطريقة سيئة، جورج فقط من يعاملني بطريقة جيدة"

شعرت بالأسى لها وقررت أن أحاول أن أساعدها بمحنتها على قدر ما أستطع، ولكن يجب علي أولًا أن أحذر من كبير الخدم، وأحرص على ألا يكتشف علاقتي ببيلا وأننا نتحدث معًا، وبذات الوقت يجب أن اكتسب ثقة بيلا أيضًا.. وعلى الفور تحدثت إلى بيلا

من جديد..

"أخبريني بيلا، ماذا تحبين أن تشاهدي وتفعلي الآن؟"

بحماسة شديدة.. "أريد أن أرى أشياء كثيرة وأتعلم أشياء كثيرة، أنا سعيدة، أنا سعيدة للغاية، من كثرة الأشياء التي أرغب بها لا أعلم ماذا أريد.. "

ضحكت من حماستها فهي ذكرتني بحماسة الأطفال الصغار، فحاولت تهدئتها

"لا تقلقي.. لا تقلقي، الأيام لدينا كثيرة وسوف أحقق لك كل طلباتك، ولكن لنبدأ الآن بأمورٍ بسيطة"

صرخت سريعًا بحماسة.."الطعام.. أرغب بمشاهدتك تتناول طعام"

شعرت بالريبة:"طعام...!! لماذا!!، ألا تتناولين الطعام الذي تريدنه؟! "

بأسي وحسرة،"لا.. لا أتناول سوى ثلاثة أنواع من الخبز، يخبرونني أن بهم كل الأشياء الضرورية لجسدي، ولكن أنا أعلم بأن هناك أنواعًا كثيرة من الطعام. لقد شاهدت بعضها بمشاهدة الكارتون عندما كانوا يسمحون لي بذلك، ولقد رأيتك أيضًا تتناول طعامًا غريبًا أول مرة أشاهده بالأيام الفائتة..

حدثتها مصدومًا.."أكل غريب.. معظم الوقت كنت أتناول شطائر الشيز برجر والهوت دوج، يا إلهي، ماذا يحدث بهذا العالم؟، أخبريني يا بيلا، ماذا تريدني أن أفعل الآن؟"

شعرت بأن لعابها يسيل وهي تتحدث لي..

"أريد أن اشاهدك وأنت تتناول الدجاج "

"دجاج، حسنًا، هذا أمر سهل، ماذا تريديني أن أتناول، دجاج مشوي، أم مقلي، أم.. "

قاطعتني بلهفة،"كلهم، أريدك أن تأكلهم كلهم.. "

"كلهم، حسنًا، سوف أفعل"

شعرت بالشفقة الشديدة على تلك الفتاة من جديد، وقررت أن أنفذ كل ما تريد حتى أكسب ثقتها أكثر، فتوجهت إلى أقرب مطعم يقدم الدجاج، وطلبت كل أنواع الدجاج الذي بالقائمة وأنا أتعجب كيف ستستطيع معدتي الصغيرة هضم كل ذلك، فلن أستطيع بالتأكيد. ظللت أستمع إلى صوت بيلا المتحمس وهي تُخبرني بأن أنظر إلى المطعم ورواده لكي تراهم، وهم يعملون ويتحدثون، وأخذت أنظر إلى الجميع حولي بتمعن وأنا أفكر مُستغربًا بأن الأشياء الروتينية المملة التي ننفر منها جميعًا قد تكون شيئًا رائعًا ومثيرًا لأشخاص كثيرين. أنتظرت أكثر من ثلاثين دقيقة ومن ثم تقدمت نادلة إليّ وقامت بوضع الطعام أمامي وتحدثت إليّ بود..

"يبدو أنك سوف تقوم بحفلة دجاج أنت وأصدقاؤك هذا اليوم.." .

نظرت إليها مبتسمًا.. "لا.. أنا بمفردي وليس معي أصدقاء "..

وهنا طالعتني بنظرات جافة مرتابة وهي تنظر لي بمفردي ومن ثم تنظر إلى أنواع الطعام المرصوصة أمامي، ومن ثم تحركت منصرفة بعيدة وهي تحدث أحد زملائها ويتهامسون وهم ينظرون لي. شعرت بالإحراج الشديد من نظراتهم ولكن صوت بيلا المتحمس قاطع تفكيري في الحال..

"أريدك أن تنظر إلى الطعام لعدة دقائق، أريد أن أرى الدجاج جيدًا.. "

صوتها مزق نياط قلبي فقمت بوضع النظارة جيدًا بوجهي لكيلا تسقط، وأخذت أنظر إلى الدجاج المطبوخ أمامي بعدة أنواع. كان أمامي أكثر من خمس فرخات كاملة بأشكال وطرق مختلفة. سمعت صوت بيلا يعود لي من جديد: "أريدك، أن تأكل الآن من الطبق الذي في الاعلى، وتصف لي ما هو طعمه، وأنا سوف آكل الخبز الآن معك والحليب وأتخيل بأني اتذوق الدجاج مثلك"

كان شعور لا يطاق انتابني بهذه اللحظة وأنت تعلم بأن هناك شخصًا محرومًا من أقل متعة من متع الحياة الا وهي الطعام، وأنه ليس بمقدوره شيء سوى التخيل. تصبب العرق على رأسي، وحاولت أن أقضي على هذا الشعور وأنا أمزق قطع الدجاج أمامي بعنف وهنا صاحت عليّ بيلا على الفور: "لا تفعل.. أريد أن أراك تفعل كل شيء ببطء أمامي، أريد أن أشاركك هذه اللحظات المهمة بحياتي لأني لأول مرة أشاهد شخصًا يأكل دجاجًا حقيقيًا.."

تمنيت بهذه اللحظة أن تصمت قليلًا حتى لا تعتصر قلبي بكلماتها أكثر من هذا، وقمت بتمزيق قطع الدجاج بيدي برفق وأنا أتحدث إليها وأصف لها شعوري حينها..

"أنا الآن أتلمس جسد الدجاجة. لحمها مغطي بخلطة تجعل اللون ذهبيًا وخشنًا. البخار الساخن الأبيض يخرج من قطع الدجاج. حرارتها شديدة بين يدي تكاد تلسعني.. "

رفعت قطعة الدجاج أمام النظارة لكي أجعلها تشاهدها بوضوح

وأنا استمع إليها وهي تنصت لي وتبتلع ريقها بنهم، فتابعت حديثي وأنا متحمس بشرح كل تفصيله أشعر بها..

وضعت قطعة الدجاج بفمي وأنا أتابع وصفي لها..

"قطعة الدجاج بفمي الآن.. إنها ساخنة.. وحارة.. تكاد تُشعر فمي بالاشتعال.. مذاق الدجاجة رائع، لا أستطيع أن أصفه لك ولكن أجد خليطًا كبيرًا من التوابل الموضوعة معًا مع لحم الدجاجة، وإذا أضفنا إليه هذا الصوص الأحمر سيكون الطعم أمتع كثيرًا، حيث يختلط الطعم المالح الخاص بالتوابل مع الطعم الحلو الخاص بالصوص الأحمر مع الفلفل الحار فتصنع تناغمًا غريبًا ولذيذًا بذات الوقت "

سمعت بيلا وهي تمضغ الطعام باستمتاع وتتحدث لي بفمٍ ممتلئ..

"أريدك أن تأكل من الطبق الذي على اليسار"

فمددت يدي بالحال وأنا أقتطع من الدجاج الآخر، وأشرح لها المذاق وظللت أفعل هذا مع كل أنواع الأطباق الموضوعة أمامي حتى أتخمت معدتي وتبقى طعام كثير، وقررت أن أنصرف وأترك الطعام فصرخت بيلا في الحال

"لا تفعل، أريدك أن تأكل كل هذا الطعام.. "

أجبتها مُستنكرًا.."ليس هناك مكان بمعدتي يا بيلا لكل ذلك.. "

"لا، أريدك أن تأكل كل هذا الطعام، فعندما تأكله أشعر بأني اتناوله أيضًا، أرجوك.. "

استجداؤها هذا جعلني أنتوي الإتيان على هذا الطعام بالحال، فقمت بفك عقد بنطالي قليلًا وعدت من جديد لتناول الطعام،

واستبعدت أي مكملات أخرى وقمت بالتركيز فقط على الدجاج بهمة ونشاط وياللهول لقد نجحت بذلك، لقد أتيت على خمس دجاجات كاملة بمفردي. هذا شيء لم أكن أعلمه عن نفسي من قبل، وها أنا تحديت نفسي واستطعت قهر معدتي وتناولت كل الطعام وانتصرت، وتحركت لخارج المطعم تلاحقني بعض نظرات الاستغراب والاندهاش من بعض العاملين وبعض رواد المطعم. لا أعلم بسبب قدرتي الجبارة بتناول هذا الطعام أم بسبب مشهد رؤيتهم لمعدتي، وهي تتقاذف أمامي كالمرأة التي توشك على وضع صغيرها بعد الشهر التاسع. كلمات الشكر والثناء التي ألقتها بيلا على مسامعي لم تستطع أن تجعلني أتغاضى عن آلام معدتي التي سرعان ما قلبت نصري إلى هزيمة، وقامت بطرد جميع الطعام الذي تناولته، وسقطت أرضًا وأنا أقوم بإفراغ جميع ما بها من طعام وشراب وخلافه. نظر إليّ بعض المارة باشمئزاز شديد ولكن لم يشغلني هذا كله حينها، ما كان يشغلني هو عدم سقوط النظارة من على وجهي والذي لم يحدث لحسن الحظ، فيبدو أنها مصممة بالفعل كي لا تسقط من وجهي مصادفة إلا عند رغبتي بذلك. سمعت صوت بيلا وهي تصرخ عليّ قلقه..

"هل أنت بخير؟، هل أنت بخير..؟"

رفعت رأسي ووقفت مكاني من جديد، وأنا اضع ابهامي بعلامة ok أمام نظارتي وأنا أحاول طمأنتها.."لا تقلقي، أنا بخير.. أنا بخير.. "

ركضت مسرعًا عائدًا جهة حمام المطعم وقمت بإفراغ ما بجعبتي من جديد، وظللت أسمع أصوات بيلا القلقة في أذني. عدت إلى

صنبور المياه وكدت أنزع النظارة غير مبالٍ ولكن عدلت عن هذا سريعًا وقمت بمسح وجهي بحرفية شديدة بالمياه وأنا أحاول أن أرفع النظارة دون أن ترتفع من أذني بحرص ونجحت بذلك بالنهاية ونظرت إلى المرآة أمامي بتمعن فسمعت بيلا تتحدث إليّ بخجل:"هل تعلم بأن كل مرة تنظر في المرآة أشعر بأنك وسيم". نظرت إلى المرآة وقد أحمر وجهي خجلًا كفتاة صغيرة، وسألتها فرحًا: "هل تريني يا بيلا جيدًا عندما أنظر إلى المرآة"

"نعم أستطيع أن أراك وأن أرى جسدك أيضًا بوضوح، أشعر الآن ونحن نتحدث بأننا نجلس معًا ونتناول أطراف الحديث بحميمية.. "

شعرت بسعادة كبيرة من حديث بيلا البسيط هذا ولا أعرف سببًا لهذا، تابعتني بسؤالها سريعًا.. "هل أنت بخير الآن؟!"

أشحت بيدي أمام المرآة بسرعة،"لا.. لا تقلقي علي، أنا بخير وعلى ما يرام الآن، ليس هذا فحسب لقد أصبحت أقوى كذلك "

وأخذت أرفع عضدي أمامي وأنا أتصنع وضعيات أبطال كمال الأجسام، وهنا وجدت باب أحد الحمامات يفتح خلفي ولمحت بالمرآة شخصًا يخرج منه، وهو يرمقني بنظرات كلها ارتياب وقلق، لأنه كان يسمعني أتحدث بالخارج، وعندما خرج شاهدني أقف أمام المرآة وأتحدث إلى نفسي، وأنا أرفع عضدي بطريقة استعراضية وهذه أفعال شخص غير طبيعي بالطبع. شعرت بالارتباك حينها على الفور وتصنعت بأني أغسل يدي حتى أنصرف ومن ثم تحدثت إلى بيلا بصوت خافت

"يجب أن نخرج من هنا الآن، وإلا سوف أجد مصيري بمشفى

ويلز للأمراض العقلية"

تحركت لخارج المطعم من جديد وأنا أتحاشى أن تتلاقي عيوني بأحد. وتطرقت لي فكرة اختمرت سريعًا برأسي، وأنا أخرج هاتفى المحمول وافتح كاميرته الأمامية لأرى وجهي وهكذا تستطيع بيلا أن تشاهدني واتحدث إليها والجميع يعتقد بأنني أحاور شخصًا على الجهة الأخرى. أخيرًا استطعت أن أجد سببًا يجعلني أشكر التكنولوجيا بسببه.. استكملت يومي بالمحادثة مع بيلا، وأنفذ رغباتها التي لم تخرج سوى عن تجربة أنواع أخرى من الطعام، وهنا اقترحت عليها أنواعًا بسيطة وسهلة الهضم حتى لا ينتهي أمرى بالمشفى من جديد بتسمم المعدة، فاقترحت عليها تجربة بعض أنواع الأيس كريم، وانتهى الأمر بتجربتي لأكثر من عشرين نوعًا من أنواعه المختلفة، وهنا قمت بشكر بيلا لأني اضطررت أن أغير ما هو مألوف لديّ واستمتعتُ بتجربة شيء آخر غير الذي اعتدت أكله كل مرة، مر الوقت سريعًا، وعدت إلى جهة القصر واتفقنا على ألا نتحدث أنا وبيلا حينها حتى لا يعلم أحد بما نفعل"

اخترقت ردهات القصر بعجالة وأنا في ترقب لانهاء عملية تسليم القواسم والمعدات التي معي من دون أن يكتشف كبير الخدم أمري، ولكن لا أعلم ما حدث حينها. لقد انقلب عقلي رأسًا على عقب عندما نظر لي كبير الخدم وهو يتسلم مني عهدتي، لم يكمل دقيقتين وهو ينظر لي ثم القى على مسامعي سؤاله.. "يبدو أنها تحدثت معك اليوم، أخبرني ماذا قالت وما طلبته منك؟"

زلزال سؤاله هز كياني، أصبت بالصدمة، وتوقفت كل أجهزة

جسدي عن العمل، حتى التنفس نسيت أن أقوم به لعدة ثوانٍ، وهنا لم أجد بدًا سوى أن أخبره بالحقيقة.."أنا آسف، لقد تحدثت لي ولم أستطع ألا أرد عليها"

لم يعبأ كبير الخدم بأسفي وعاود سؤاله.."ماذا قالت...؟! أخبرني بكل شيء"

ابتلعت ريقي سريعًا وجاوبته بالحال."لقد طلبت مني أن اتناول الدجاج أمامها "

نظر إلى عيناي وتابعني بسؤال آخر:"ماذا أيضًا...؟"

مرتبكًا متعرقًا جاوبته..

"لقد طلبت أن أتناول أطعمة أخرى فتناولت الأيس كريم "

اقترب كبير الخدم خطوة مني واقترب خلفه الخادمان وهم يحملان المعدات "ماذا قالت غير ذلك؟، ألم تخبرك عن نفسها شيئًا، هل تحدثت عن القصر او عن أي شخص يعمل به، هل حدثتك عني؟"

نظرت إلى الأرض وأنا متعرق أمسح عرقي بمنديلي سريعًا.. "لا، لم تخبرني عن شيء ابدًا، لم تخبرني عن شيء سوى اسمها "

اقترب رئيس الخدم أكثر مني لدرجة أنه كاد يلاصقني تقريبًا ومال برأسه إلى اليمين وهو يسألني.. "ماهو اسمها؟"

ابتلعت ريقي:"لقد اخبرتني أن اسمها بيلا.. "

نظرت إلى الأرض وأنا خائف لا أعلم ماذا سيحدث لي الآن؟، مرت ثوانٍ كالدهر عليّ، وأعتقدت أنها لن تنتهي أبدًا، حتى سمعته وهو يتنهد ويتراجع إلى الخلف قليلًا، وهو يمسك بقواسم الشراء من فوق صينية أحد الخدم خلفه..

"حسنًا .. بما إنك كنت صريحًا معي بشأن هذا اليوم فسوف تستمر بعملك كالمعتاد ومنذ أقدمت بيلا على التحدث إليك من نفسها، فأنت مسموح لك بأن تتحدث إليها ولكن قدر الإجابة على قدر السؤال.. تجيب الكلمة بالكلمة لا تزِدْ عن هذا أو تنقصه، وبالطبع حديثكم هذا لا يخرج لأي مخلوق مهما كان، هل فهمت؟"

هنا شعرت بالارتياح وكدت أن أسقط على الأرض بسبب ارتخاء عضلات جسدي التي كانت تنفجر من التشنج منذ قليل، فأومأت برأسي مبتسمًا ..

"بالطبع، بالطبع يا سيدي.. "

ظل ينظر كبير الخدم بقواسم الشراء سريعًا، وهنا جال بخاطري أن أسأله عن وضع بيلا الغريب هذا ولماذا هي محبوسة ولا تستطيع أن تخرج من القصر، ونظرًا لحالة التسامح التي يمر بها كبير الخدم الآن فقررت أن أسأله فرفعت يدي كتلميذ صغير يتلمس موافقة مُدرسه في الذهاب إلى المرحاض..

"إذا سمحت سيدي أرغب بالاستفسار عن أمر ما"

وهنا وجدت كبير الخدم يُلقي قواسم الشراء التي بيده أرضًا ووجهه اشتعل حمرة مُغاضبًا وهو يصرخ فيّ..

"لا .. لا تجرؤ على أن تقترح أن تسأل عن شيء هنا أبدًا، إذا اردت أن تُكمل العمل معنا، إياك أن تحاول التفكير في هذا الأمر مرة أخرى مُطلقًا"

انتابني الهلع من جديد، وأخذت أومئ برأسي مرتاعًا "أنا آسف، أنا آسف لن أفعل ذلك مرة أخرى "

فصرخ بي من جديد.."هيا أغرب عن وجهي الآن "

فتحركت للخارج وأنا أكاد أشتم الهواء حولي مشتعلًا بحمم غضبه..

عدت إلى المنزل بمشاعر متقلبة متضاربة، تارة أضحك على موقف حدث لي مع بيلا، وتارة أغضب من معاملة كبير الخدم، وتارة أشفق على سجنِ تلك الفتاة المسكينة التي تحرم من بديهيات العالم الذي نعيشه الآن ونعتبره حقًا مسلمًا به.

قررت ألا أعطي للأمر أكثر مما يستحق إنها بالنهاية مجرد وظيفة لي مثلها كأي وظيفة أخرى بها الكثير من الضغوط والقلق مع الفارق أن لوظيفتي تلك راتب أكبر وحرية أكثر من أعمالي السابقة تجعل هذه الوظفية مجزية لي أفضل من الوظائف السابقة، وهكذا حزمت أمري على أن اخوض عملي بدون أن أُشرك مشاعري، ولهذا فكرت بأمر مهم، وهو يجب أن أتحصل على علاج فوار هاضم مريح وسريع قبل أن أبدأ بالشروع في تناول أي طعام آخر من اقتراحات بيلا رحمة بمعدتي الصغيرة. وضعت رأسي على الوسادة لكي أقتطع ساعات من النوم يغيب بها وعي عن ضيق الدنيا وحصار مشاكلها، ولكن هيهات أن يحدث هذا. عقلي اللعين كان كل ما يشغله هو بيلا، لماذا حبست هكذا؟ ولماذا قام كبير الخدم بتعييني لكي اجعلها ترى العالم من محبسها؟، هل هذا الفعل نابع من حبه وشفقته عليها أم أنه نوع من أنواع الإذلال والترهيب لكي ترضخ لما يريد في مقابل أن يجعلها ترى العالم من جديد؟، أليس خائفًا من أن أقوم بالتبليغ عنهم؟، هل يجب أن أقوم بالتبيلغ عنهم من الأساس؟، إذا فعلت ذلك

فسوف أخسر وظيفتي تلك بكل تأكيد وليس الوظيفة وحسب بل سوف أكون بخطر بسبب الصراعات التي تدور بداخل هذا القصر وأنا على غير علم بها، ولكن إذا فعلت فسوف أستطيع أن أخلصَ تلك الفتاة المسكينة من كل هذا العذاب والحرمان الذي تلاقيه. لا أعلم ماذا أفعل، لا أعلم ماذا أفعل، قمت بالطرق على رأسي اللعين، وأنا أصرخ به ليكف عن التفكير ولتدعني أنام أيها الوغد، وبالنهاية استطعت أن أتغلب على عقلي وخلدتُ إلى النوم ولكن ليس أكثر من ثلاث ساعات تقريبًا لأجدني مستيقظًا لأفكر ببيلا وحبستها من جديد.. قلبي يراودني أن أخبر الشرطة عن وضعها وعقلي يزجرني بألا تضع نفسك بين السندان والمطرقة، لا تتدخل فيما لا يعنيك، حتى لا ترى ما لا يرضيك، وظللت هكذا بين شد وجذب طيلة صباح يومي. تحركت إلى العمل ولم أتناول إفطاري استعدادًا للوجبات المتخمة التي سأتناولها اليوم. كنت أمر بين ساحة سيارة كبيرة لألتف إلى موقف الباص على بعد قليل منه، ولكن تفاجأت عندما استوقفني أحد رجال شرطة سكوتلاند يارد بيده وهو متجهم الوجه وهو ينطق اسمي ويسألني هل أنا صاحب هذا الاسم؟، شعرت بالاضطراب والقلق فأخبرته بتلعثم أنه بالفعل هذا هو اسمي أخبرني أن آتي معه لمقابلة رئيسه وتحرك أمامي ليدلني على الطريق دون حتى أن يُعطني فرصة للسؤال عما يحدث. سقط قلبي بين قدميّ، وأنا أتبع الشرطي أنا بالتأكيد لم أقم بفعل شيء خاطئ، ولكن رهبة الموقف وسرعته أقنعتني بغير ذلك. لم نبتعد كثيرًا حتى توقف الشرطي أمام منضدة أمام مقهى صغير يتناول عليه أحد الضباط

المسنين بعض الشطائر بنهم شديد. أشار الضابط إليّ بالجلوس أمامه، وهو يستمتعُ بتناول طعامه. ابتلعتُ ريقي بقلق، ومن ثم جلست على المنضدة أمامه بينما وقف الضابط الآخر على بعد منا، ولكنه لم يغفل عني ولو لحظة. قام الضابط بمسح فمه بقطعة منديل مبللة وترك الطعام ومد يده لمصافحتي وهو يُحدثني بتودد..

"صباح الخير، أنا الضابط العجوز فيل جونز من سكوتلانديار "

صافحته على الفور بيدي، ولاحظت أن يده ما زالت دهنية من أثر تناول الشطيرة، شعرت بالتقزز حينها ولكن لم أبدِ أي ردة فعل واكتفيت أن أقوم بمسح يدي بملابسي أسفل المنضدة، وتابع هو حديثه لي..

"هل تريد أن تتناول الطعام.. هل أحضر لك إحدى الشطائر...؟"

رفضت عرضه بطريقة مهذبة وشكرته بالحال.. فتحدث مبتسمًا..

"إذا هل لديك مانع إذا أكملت تناول إفطاري ونحن نتحدث.. "

أومأت برأسي بأن لا مانع ولكنه لم يُعرني اهتمامًا على أي حال، وبدأ بتناول الشطيرة من جديد وهو يصدر صوتًا وهو يلوك الطعام بسرعة ونهم كبير.. كان يلتهم الطعام وهو يرمقني بنظرات سريعة لكن حادة ومن ثم يُعاود لتناول الطعام مرة أخرى. بدأت أشعر بالتململ من الاكتفاء بمشاهدته وهو يتناول طعامه دون أن يتحدث لاحظ ذلك فقام بابتلاع آخر قطعة كبيرة من الشطيرة على فم واحد، ومن ثم قام بالضرب على صدره عدة مرات وهو يبتلعها ومن ثم لحقها بجرعات كبيرة من المياه، وبعد أن انتهى تنهد بقوة كأنه أنهى صراعًا كاد أن يقضي على حياته بهذه الشطيرة، وأخذ يمسح يده

وفمه بالمنديل وهنا سألني بسرعة..

"هل تعلم لماذا أنت هنا اليوم؟!"

أجبته على الفور:"لا أعلم يا سيدي "

فامسك كوب المياه وهو ما زال يلوك بعض الطعام بفمه..

"وأنا أيضًا لا أعلم "

ومن ثم رفع كوب المياه على فمه، نظرت إليه مندهشًا من رده الغريب هذا فوضع كوب الماء على المنضدة وحدثني مرة أخرى..

"نحن أحضرناك الي هنا يا صديقي، لكي تخبرنا بما تريد"

ابتلعت ريقي وأنا مرتاب.."ماذا تقصد يا سيدي؟؟"

إتكأ على المقعد بظهره واستند بيده اليمنى على ساعد المقعد..

"ألست تعمل بقصرهامبتون كورت"

شعرت بالخوف الشديد من سؤاله فتريثت في إجابتي قليلًا..

"نـ.. نعم يا سيدي، أنا أعمل هناك"

أخذ يمسح بمنديل بعض عرقه بسرعة..

"جيد.. جيد.. أخبرني.. كيف هو الوضع هناك؟"

انتابتني الحيرة، ماذا أفعل؟، هل أخبره بطبيعة وظيفتي وكل شيء أعرفه عن كبير الخدم والقصر وبيلا أم لا؟ نظر الضابط بعيني وهو يقترب مني بوجهه..

"لماذا صَمت؟، هل هناك شيء ما؟، هل هناك ما يشغل بالك؟، هل هناك شيء خاطئ؟، أخبرني بكل شيء، أنا هنا، كلي آذان صاغية.. "

كنت كبركان على وشك الانفجار، طائرة ستسقط من السماء، جبل ثلج على وشك الانهيار، أريد أن أبوح بكل شيء وها هي فرصتي

لأخرج كل ما كان يؤرقني ويخنقني وبالفعل تحينت الفرصة ونطقت بما أريد..

"لا "

ماذا...!!.. ماذا...!!، ما هذا الذي أنطقه لماذا لم أخبره!!

سألني الضابط مرة أخرى مندهشًا فكانت ملامحي تنطق بما داخلي، ولكن لساني يظهر عكس هذا..

"هل أنت متأكد، لا يوجد أي شيء يؤرقك، لا يحدث هناك أي شيء غريب "

ها هي فرصتي قد لاحت مرة أخرى، يجب أن اغتنمها الآن، سوف أخبره بكل شيء، كل شيء..

"لا، الأمر على ما يرام "

اللعنة، اللعنة، لما لا أخبره.. لماذا لساني لا يطاوعني ويفعل ما أرغب به؟ "

اقترب مني الضابط أكثر وملامح الضيق على وجهه..

"هل أنت متأكد أن كل شيء على ما يرام؟، لا يوجد شيء غريب أو مريب يحدث بداخل أسوار القصر "

إنها المرة الثالثة التي تحين فرصتي، وسوف اغتنمها بكل تأكيد.. سوف أخبره بالحقيقة كلها ولتذهب كل مخاوفي إلى الجحيم..

"بالفعل كل شيء على ما يرام ياسيدي.. كل شيء بداخل القصر طبيعي "

اللعنة على جُبني، اللعنة على مخاوفي، اللعنة على كل ذرة من ذراتي المُمتلئة خنوعًا وخوفًا..

اعتدل الضابط بجلسته واتكأ على ظهره وهو يشبك يديه مُعترضًا على حديثي لعدة ثوانٍ، ومن ثم ابتسم ونظر إلى الضابط الآخر خلفه وهو يفك يديه مرتخيًا..

"إذن كل شيء على ما يرام"

أجابه الضابط الآخر الذي اعتلت وجهه ملامح الارتياح هو الآخر وجاوبه..

"بالفعل كل شيء على ما يرام"

نظر إليه وأشار لي بيده مبتسمًا.. "كل شيء على ما يرام "

ابتسمت أنا أيضًا وأنا أشعر بأن درجة حرارة جسمي قد انخفضت فجأة، وشعرت بأن الهواء من حولي بارد..

"نعم، كل شيء على ما يرام"

نظر الضابط لي وهو يتحدث ومن ثم نظر إلى الضابط الآخر.

"لأنه إذا لم يكن هناك شيء ليس على ما يرام كنت ستخبرنا بالفعل، أليس كذلك؟"

أجبته بالحال "بالطبع، بالطبع، كنت سأخبركم بالتأكيد "

اشاح الضابط بيده وهو يضحك.. "إذن لا يوجد سبب لوجودنا هنا"

ثم وقف في مكانه فوقفت أيضًا مثله وقام بمصافحتي..

"أشكرك على هذا الوقت اللطيف"..

ومن ثم ابتسم وهو يضع يده الأخرى على يدي وهو يُصافحني.."سوف أذهب الآن، أريدك أن ترسل تحياتي لرئيسك، جورج "

ارتبكت في الحال عندما سمعته يُخبرني باسم رئيس الخدم

أمامي، فصفق على يدي وهو يضحك..

"نعم جورج رئيس الخدم في القصر ورئيسك، إنه صديق لي، أخبره بأننا سوف نلعب معًا البوكر قريبًا، وهذه المرة فيل جونز سوف يهزمه "

ومن ثم رمقني بنظرة تصاحبها ابتسامة ساخرة وتركني ومضى بطريقه وهو يصحب الضابط الآخر..

اصابتني رعدة قوية هزت كل جسدي وكادت أن تسقطني أرضًا بعد نهاية هذه المقابلة. تمسكت بأقرب مقعد بجانبي لأحاول أن أتمالك نفسي من جديد وألملم شتات تفكيري الذي لم يحتَجْ لكثير من الجهد..

كان الأمر واضحًا وضوح الشمس ولا يحتاج إلى أي تأويل. إنها رسالة مباشرة كاشفة من كبير الخدم بأن إبلاغ الشرطة أمر لا يجدي نفعًا، كم شعرت بالامتنان إلى جُبني وقلة حيلتي التي أنقذتني من هذا الأمر إذا تملكتني الشجاعة ولو لدقيقة لا أعلم ما كان سوف يكون مصيري من الممكن أن أكون مسجونًا بقضية ما أو كانوا ليجدوا جثتي بالنهاية أسفل قاع نهر التايمز..

يبدو أن الأمر أخطر وأشرس بكثير مما كنت أعتقد. يجب أن أفكر بالفعل في ترك تلك الوظيفة، ولكن.. الراتب جيد، الحرية الكبيرة، والأهم من ذلك تلك المسكينة، من سيراعيها ويقف بجوارها إذا تركتها الآن؟، من يعلم ماذا سيحدث حينها؟، من الممكن أن يأتي شخص وغد من بعدي يتحكم بها ويزيد تعاستها أكثر وأكثر ومن الممكن أن يقوم كبير الخدم بإلغاء هذه الفكرة والوظيفة من الأصل

ولا تجد تلك المسكينة أي مُتنفس لها نهائيًا. إذن الحل الوحيد هو أن أستمر بالعمل وأتفادى أي أخطار تُحيطني. يجب أن أتخلى عن فضولي اللعين هذا، وأنصب بكل تفكيري على مساعدة بيلا فقط دون أن يرجع بهذا أي ضرر عليّ..

وهكذا ذهبت إلى العمل ولكن لم أجد كبير الخدم باستقبالي وقام مساعداه بتقديم النظارة والسماعة والمبلغ المالي المعتاد. اندهشت قليلًا من اختفاء كبير الخدم المُفاجيء هذا، ولكن صفعت نفسي سريعًا وأنا أخرج من الغرفة وأخبر نفسي دعك من فضولك هذا، المهم بيلا..بيلا التي تحدثت إليها كالمعتاد، ولم أشِرّ إليها بأي خبر عن الضابط الذي قابلني صباح اليوم وتحدثنا كثيرًا وضحكنا كثيرًا وجعلتها تشاهدني عن طريق الهاتف، ومن داخل أي مرآة اقابلها بطريقي واستطعت أن اتناول ٣ أرطال كاملة من أنواع اللحم هذا اليوم لأكتشف أن لدي قدرات خفية لم أكن أعرفها من قبل، وبالطبع الأوقات السعيدة مرت بسرعة وعدت إلى القصر بنهاية اليوم، وبعكس الصباح وجدت كبير الخدم بانتظاري هذه المرة. كان يراقب باهتمام شديد وأنا اسلم عهدتي، وهو يتناول كوبًا من القهوة الكبير بيده، وعندما انتهيت من تسليم عهدتي وقواسم الشراء التي بحوزتي، وجدت فجأة كبير الخدم يلقي بالقهوة التي بيده على ملابسي بدون أي مقدمات. شعرت بالغضب الشديد من فعله هذا، وهو لم يُحاول أن يُنكر فعلته أو حتى يتأسف بل اكتفى بالنظر لي بلا مبالاة وهو يَصيح علي.. "هل هناك شيء تريد أن تقوله "

كنت أعلم بانه على علم بمحادثتي للضابط باليوم السابق، فهو

من أرسله، وأعلم أيضًا بأنه يريدني أن أغضب وأترك العمل، فيبدو أنه لا يستطيع أن يفصلني من العمل، ولكنه يحاول أن يُجبرني على هذا. لا أعلم بسبب بيلا أم بسبب شيء آخر، ولكن ألعابه العقلية هذه لم تنجح بأن تجعلني أستقيل فابتسمت له وانا أمسح القهوة من فوق ملابسي:"لا.. لا يوجد شيء.. "

ومن ثم تركته وانصرفت، على الرغم من شعور الإهانة الذي مررت به ولكنه تلاشى على الفور؟، وأنا أرقب انزعاج كبير الخدم مني وعدم اكتراثي لفعله، ومنذ هذا اليوم فأنه أصبح يتفنن بإيجاد طرق لإذلالي وإهانتي. يُلقي على رأسي أكواب الشاي الساخن أو يَجعلني أدخل وأخرج من باب صغير مُخصص للكلاب، ووصل الأمر حتى أنه جعلني أرتدي ملابس مغطاة بالقاذورات، وعلى الرغم من فعله لكل هذا وأكثر لم أفكر نهائيًا بترك العمل وأخبرته بهذا مرارًا وتكرارًا، وأنا ابتسم واسمعه يَسبني من خلفي..

* * *

مرت أسابيع عديدة جربت الكثير والكثير من أنواع الطعام والشراب مع بيلا حتى تلك الأطعمة الغريبة التي يُطلق عليه لقب إكزوتك _Exotic، ومنها على سبيل المثال تناولت كتكوتًا صغيرًا ميتًا بداخل بيضته، ولقد كان طعمه غريبًا للغاية، وأمعاء الدجاج الدقيقة المشوية بالخل والصوص، وأمخاخ القرود، وكف غوريلا،

وشربت خمرًا معتقًا بأجساد الثعابين، ولحم تمساح مشويًا على الفحم، وأكلات لم أفكر بحياتي أن أتناولها أو اقترب منها لولا أن جعلتني بيلا أغير من نمطِ حياتي المعتاد وأجرب كل جديد، وكنا بأحد الأيام نتناول أطراف الحديث حيث فجأة طلبت مني بيلا طلبًا ..

"أريد أن أرى البحر "

كان هذا الأمر جديدًا عليّ. كانت طلبات بيلا غالبًا ما تقتصر على الطعام والشراب أما هذه المرة فهي تطلب بأن ترى البحر.. شعرت بالشفقة الشديدة على تلك المسكينة، وبالحال وافقت أن ألبي لها طلبها، وباليوم التالي صباحًا أخذت قطارًا مباشرة من محطة لندن فيكتوريا London Victoria، واستغرقت الرحلة ما يتراوح بين ٥٥ دقيقة وساعة واحدة.. قضيتها في الحديث مع بيلا وأنا أشرح لها ماهو القطار وكيف يعمل وما هي المسافات الطويلة التي يقطعها، وبعد مضي الوقت دون أن أشعر وصلنا إلى وجهتنا أخيرًا شاطئ " برايتون ايست ساسيكس – Brighton، East Sussex"..

ويقع شاطئ برايتون في مدينة ساسيكس وهي أروع مدينة ساحلية في انجلترا، وهي مزيج انتقائي من ساحات ريجنسي الكبرى، والأزقة الضيقة التي تصطف على جانبيها بوتيكات الإندي، ومحلات بيع

أكلة الأسماك المقلية والبطاطس التقليدية ومشهد مزدهر للنوادي الليلية. تتميز المدينة بقصر Royal Pavilion المُستوحى من تصميم قصر تاج محل والمُشيد كجناح ملكي على شاطئ البحر لإقامة الحفلات في عصر الملك جورج الرابع في عام ١٧٨٧، وبالرصيف البارز الممتلئ بركوبات وألعاب الملاهى، والذي يُعد من المعالم الشهيرة في المدينة. يمكنك القيام بنزهة على الشاطئ إلى بلدة هوف Hove المجاورة لمشاهدة أكواخ الشاطئ متعددة الألوان والمقاهي اللطيفة، توقفت في الطريق لرؤية برج i٣٦٠ للخطوط الجوية البريطانية وهي أول عربة تلفريك عمودية في العالم..

المدينة ما زالت رائعة كما أتذكرها منذ كنت صغيرًا لم يختلف شيء بروعتها لقد اعتاد أن يصطحبني خالي إدوارد بصحبة أسرته في العطلة الصيفية عندما كنت صغيرًا وما زلت أحتفظ بذكريات خلابة عن الأيام والليالي التي قضيتها هنا وسط مطاعم المدينة وشواطئها، ويقع شاطئ برايتون على بعد حوالي ١٠ دقائق سيرًا على الأقدام من محطة القطار، ولكم كان مشهد الشاطئ رائعًا أعاد لي ذكرياتي المنسية وقفت أمام الشاطئ ورواده متحدثًا إلى بيلا واصفًا ذكرياتي بحماسة طفل صغير يطارد فراشة يراها لأول مرة.

"أتشاهدين ما أراه أمامي يا بيلا، إنه البحر ورائحته الممتعة، أتعلمين أنك تشمين رائحة اليود بالجو هنا بكل سهولة يا بيلا.. "ركضت مسرعًا وحذائي أمتلأ بالرمال، وأنا أصرخ فرحًا وأشير إلى الخط الفاصل بين البحر والشاطئ..

"هنا، هنا يا بيلا يمكنك القيام بنزهة مُنعشة على طول ممشى

الواجهة البحرية"

نظرت إلى المتاجر حولي فجأة..

"وهنا يا بيلا، كنت أشتري تذكرات لأخي وأصدقائي من متاجر الهدايا المطلية بألوان الباستيل، كانت المقاهي ومحلات الوجبات الجاهزة مصفوفة على جانبي الشارع الرئيسي ذي الطراز القديم.. وهنا بهذه الرقعة يا بيلا كان هناك بائع للمحار المشوي كنا نأكل منه بكل مرة نعود إلى هنا، ومن هذا البار كان خالي إدوارد لا يغادر قبل أن يتذوق بعضًا من زجاجة النبيذ الأبيض البارد من عندهم.. "..

كانت بيلا لا تتحدث إطلاقًا حينها بل كانت تستمع لي وأنا أسردُ ذكرياتي بحماسة شديدة وتضحك على أقوالي ورد فعلي، لا أدري هل حضرت أنا هنا لكي أجعلها تستمتع في عزلتها أم لكي أستمتع أنا، وبعد عدة ساعات من التحدث بلا هوادة عدت إلى رشدي أخيرًا وأنا أحدث بيلا..

"أنا آسف للغاية، يبدو أني قد سَكرتُ بنشوة نستولوجيا الماضي وتركتك بمفردك. نحن هنا من أجلك بالنهاية "

"لا نحن هنا من أجل بعضنا البعض، عندما تكون سعيدًا أصبح سعيدة أنا أيضًا "

كلماتها الرقيقة اخترقت قلبي على الفور، فهي تهتم بي مثلما أهتم بها وأكثر على الرغم من عدم رؤيتي لها إطلاقًا ولكن طيفها لا يُفارقني وأفكر بها دائمًا. حاولت أن أكسر الصمت الذي لازمني فجأة فقمت بنزع حذائي بيدي، وأخرجت منه الرمال أمام بيلا وأنا أحدثها..

"سوف أنزع حذائي وأمشي حافي القدمين أفضل لأن الرمال تؤذي قدمي "

"ماذا؟، إذا أذيت قدمك من الرمال وهي بحذائك فكيف ستمشي عليها بدون الحذاء؟"

ابتسمت من سؤالها السخيف هذا ولكن عذرتها فهي لم تمر بهذا الأمر من قبل..

"الرمال تُصبح مُؤذية يا بيلا إذا كانت عالقة بين قدمي والحذاء، لكن إذا مررت عليها بقدمي فقط فهي لا تُصبح مُؤذية نهائيًا بل على العكس ملمس الرمال الخشن أسفل القدم له شعور ممتع ومتميز للغاية "

"يالتني كنت بجوارك الآن لكي أتلمس الرمال بقدمي أنا أيضًا.. "

شعرت بغصة بحلقي من حديثها فأنا لا أستطيع حتى أن أخبرها بأن ذلك سيحدث قريبًا حتى ولو كذبًا حتى لا أعطيها أملًا زائفًا لا أستطيع تحقيقه نهائيًا..

"بيلا، أخبريني هل بجوارك قارورة ملح؟"

"نعم، لماذا تسأل عن الملح؟!!"

ابتسمت وأنا أمسك بعض الرمال بيدي..

"سوف أجعلك تشعرين بملمس الرمال مثلي، فلتسكبِي الآن قارورة الملح أمامك على الأرض بالكامل ووزعيها على قدر ما تستطعين، ومن ثم أمشي عليها هذا هو تقريبًا ملمس المشي على الرمال "

بلهفة شديدة.."ماذا؟، سوف أفعلها على الفور "

سمعتها وهي تقوم بالتحرك وإلقاء بعض الأشياء على الأرض،

ولكن بصوت غير واضح ووصلني صوتها المُتلهف "لقد فعلت مثلما أخبرتني الآن، سوف أضعُ قدمي على الملح.. "

"جيد افعلي الان "

"يا إلهي.. لا أصدق، إنها خشنة.. خشنة تحت قدمي، هل ملمس الرمال هكذا؟؟"

أجبتها ضاحكًا.."تقريبًا نفس الملمس "

اخذت تصرخ فرحًا وهي تركض بالغرفة مستمتعة..

"يا إلهي، أستطيع الشعور بملمس الرمال وأنا بغرفتي أنا أحبك للغاية.. "

"أحبك "..

هذه الكلمة العفوية التي نطقتها قلبت كياني، هل اعترفت لي بحبها الآن أم أنها جملة غير مقصوده، وتسللتْ تلك الكلمة بغمرة فرحتها البسيطة. حاولت طرد أفكاري المُتشككة هذه وأخذت أستمع إلى صوت بيلا الفرح وهي تصرخ بحماسة بأذني من مجرد المحاكاة لأمر بسيط كالتحرك على الشاطئ.. أيقنت بتلك اللحظة أن الحياة ليست عادلة، وأن بالفعل ما قد يُمثل لك حظًا سيئًا قد يكون لغيرك هو أفضل شيء قد حدث له بحياته كلها. وقفت أمام البحر وأنا انظر إليه مُتعجبًا إن لون البحر مختلف عما اراه كل مرة اتذكره أزرق اللون لكنه هذه المرة مائل إلى الخضرة، هل أصبح مختلفًا عما أتذكره بالفعل أم أن ذاكرتنا هي الخادعة؟، لكن بالنهاية لا يُهم ما يُهم هو أن البحر أمامي مُترامي الأطراف بدون نهاية، والشمس ساطعة بكبد السماء تُراقب راكبي الأمواج بشغف وتربت عليهم بأشعتها لتغمرهم

بحنانها. هذا ما كان يدور بمخليتي حينها. لقد أصبح كل شيء أراه الآن بشكل مختلف غير مألوف أستطيع أن أتذوق الهواء وأشتم الماء وأسمع أصوات أشعة الشمس كل هذا بفضل دخول بيلا بحياتي. لقد جعلت اهتمامي بالتفاصيل يُغير طعم حياتي، ويَصبغ عليها لونًا جديدًا. صمت قليلًا وأنا أهيم بجمال مشهد الشاطئ أمامي برواده الكبار والأطفال، وشعرت أنه يجب أن أعبر عن امتناني بتلك اللحظة.

"بيلا، أتشاهدين البحر والشمس والرمال معي؟!!"

"نعم، أنا سعيدة للغاية، أنا سعيدة لدرجة لا تتصورها، أنا أشكر الله ليل نهار لظهورك في حياتي "

"ماذا تقولين.. أنا من هو سعيد الحظ لدخولك لحياتي. أنا قبل أن أستلم تلك الوظيفة كانت حياتي طبيعية مملة وسيئة. كنت أشعر بالاختناق كأني بداخل قبر على الرغم من الحياة الواسعة حولي. كنت أغرق بهمومي وأحزاني دون أي أمل بغدٍ أفضل وحياة أجمل. كنت أشعر بأني ميت على الرغم من أني حي، ولكن كل هذا تبدل منذ أن أصبحنا معًا. أصبحت أستيقظ باكرًا وأنا كلي حماسة كيف سنقوم بقضاء اليوم سويًا.. جُل يومي أقضيه بتجارب جديدة ومشاهدة تفاصيل مختلفة عما أعتدته، حتى حديثي معك مختلف تمامًا عن حديثي مع أي شخص آخر. معك أنت أشعر بأننا نتحدث بدون أي مانع أو حواجز أو حدود.. ما ترغبين به تقولينه، وما أشعر به أخبرك به. أشعر بأني أتحدث إلى روحي وكياني وليس لشخصٍ آخر"

"وأنا أيضًا صدقني أشعر بهذا وأكثر كل يوم. أنت لا تتوقع ما مدى شوقي بأن نلتقي وأن نُشاهد هذا المشهد الآن معًا وأنت تحتضنني

وأنا احتضنك وأسمع دقات قلبك بجواري "

شعرت بالفرح والحزن بآن واحد فيبدو بأن بيلا تُبادلني المشاعر أو على الأقل هذا ما أعتقده، ولكن أنا لا أعلم هل سأستطيع أن أحشر نفسي بالمشاكل التي تُحيطها أم لا، فأنا أجبن من أن أفعل ذلك وحاولت أن أوضح لها هذا..

"بيلا، أنا"

قاطعتني على الفور "أصمت، أنا أعلم، أنا أعلم "

شعرت بمرارة بحلقي ولم أستطع أن أجاوبها. لم يَعد يُثيرني مشهد البحر والرمال لقد انطفأت الدنيا بوجهي، وتمنيت أن يكون هناك عقار للشجاعة أستطيع أن أتحصل عليه لأقضي على مخاوفي وقلقي اللذين يمنعاني من أن أكون بصحبة بيلا الآن، ولكن مهلًا.. كيف أستسلمت ليأسي دون أن أعلم ما المُعضلة التي بها بيلا من البداية فأنا بالفعل لا أعلم ماذا يحدث معها، فأردت أن أقطع الشك باليقين وسألتها في الحال.

"أنت لم تُخبريني يا بيلا عما يحدث معك ولماذا قام بحبسك كبير الخدم ولما يُعاملك بسوء هكذا؟"

أجابتني مترددة"أخشى إذا أخبرتك فتصبح بخطر أنت أيضًا "

أجبتها بصيغة عنترية.."لا تخافي عليّ، أريدك أن تخبريني بكل شيء الآن "

"حسنًا سوف أخبرك. أنا لا أعلم التفاصيل جيدًا، كل ما أعلمه أن والدي ووالدتي اختفيا فجأة وأنا في السابعة، وفجأة وضعوني بالغرفة التي أنا بها حتى الآن، ومنعوني من أخرج منها نهائيًا "

"من هؤلاء يا بيلا، هل جورج كبير الخدم هو الذي يَفعل ذلك؟!"

"لا، جورج طيب معي ويعاملني جيدًا. إنهم أناس آخرون لم أرهم منذ عدة أعوام. رجل وامرأتان كنت أشاهدهم وأنا صغيرة مع والداي، وأتذكر مرة بأن جادلهم جورج وقاموا بصفعه لأنهم كانوا يريدون أن يأخذوني بعيدًا، وهو رفض أن أذهب معهم.."

"هل أنت غنية يا بيلا؟، هل أهلك أغنياء؟"

"أنا لا أتذكر جيدًا، أنا كنت ممنوعة من الخروج من منزلي ومنذ نعومة أظافري، ولكن كنت أرى والدتي ترتدي ملابس كثيرة وتضع مجوهرات ثمينة، ووالدي يمتلك العديد من السيارات"

"إذن أنت غنية بالفعل، أنا أعتقد بأنك الوريثة الوحيدة لعائلتك وباقي أقاربك يريدون أن يتخلصوا منك أو على الأقل يقومون بإخفائك حتى وصولك للسن القانونية سبع سنوات مفقودة وبعد ذلك يعتبرون أنك من الأموات ويرثون أموالك"

"انا لا أريد شيئًا نهائيًا.. كل ما أرغب به هو أن تنتهي حبستي تلك، وأن أعود إلى الخارج من جديد. أقصى آمالي وأحلامي أن أشتم نسيم الحرية من جديد، وأتناول ما أشتهي من الطعام، هل أفتعل جرمًا أو أطلب المستحيل؟ "

وأخذت تبكي وتنوح وهي تُمزق نياط قلبي بدموعها تلك. اشتعل قلبي غضبًا من تلك العائلة التي همها الوحيد هو الأموال، ولم يخطر ببالهم كيف أنهم يُحطمون حياة شابة صغيرة لم تقترف أي ذنب سوى أنها كانت نِتاج عائلة ثرية. وهنا قررت في الحال أن أنزع ثياب جُبني المُهلهلة، وأمزق ستار خوفي لأكشف عن شمس شجاعتي وأتسلح

برماح آمالي وصرخت بصوت جهوري عنتري..

"أقسم لك بحياتي يا بيلا سوف أخرجك من حبستك هذا مهما صار حتى ولو كان ثمن هذا حياتي "

صرخت عليّ بخوف.. "لا.. لا.. إلا حياتك.. انا لا أريد أن يصيبك أي مكروه.. انا لا أحتمل أن أعيش بهذه الدنيا حتى لو نلت حريتي بدونك.. "

شعرت بسكرة الفخر تجتاحني وقلبي رقص طربًا من سماع كلماتها، وناولتني بحنانها علىّ هذا إكسير الشجاعة وتلبستني روح الحكمة..

"لا تخافي يا بيلا، سوف أضع خطة لنا نحن الاثنان لكي نخرجك من محبسك الأهم من هذا كله هو ألا يشعر أي مخلوق بما نفعله..

ضحكت ودوى ضحكها بجسدي..

"لا تخف لن يعلم أحد عن أي شيء.. يبدو أننا سنصبح كأبطال أفلام الجاسوسية التي أخبرتني عنها "

"نعم سوف أكون جيمس بوند وأنت فتاة الاستخبارات الجميلة التي تساعده "

أخذت تضحك بشده على حديثي وضحكاتها تزدني نشوة وقوة وشجاعة، وأنا أتخيل نفسي أحتضنها الآن بين ضلوعي وأقبلها مثلما يفعل شين كونري بطلي المفضل بسلسلة جيمس بوند مع فتياته. جذب انتباهي فجأة صوت فتاة تصرخ فنظرت على يساري سريعًا لأجد رجلًا في الأربعينات من عمره بجسد عارٍ إلا شورتًا أسفل وسطه، وبعضلات مفتولة ضخمة يُمسك بيد فتاة ويصرخ عليها..

"سوف تأتين معي الآن أيتها العاهرة "

نظرت بيلا إلى الموقف يحدث أمامها معي من النظارة وأخذت تصيح بقلق

"ماذا يحدث...؟َ ماذا يفعل هذا الرجل بتلك الفتاة المسكينة؟"

نظرت إلى الرجل وأنا أشعر بالارتباك، وأنا أعاود النظر إلى رواد الشاطئ حولي وأنا مرتبك أتمنى أن يتدخل أحد ما لينقذ تلك الفتاة.. ولكن لم يتحرك أحد من مكانه فالجميع اكتفى بالمراقبة من بعيد مثلي..

صرخت الفتاة وهي تُحاول نزع يدها من يده الضخمة..

"اتركني الآن، أنت تؤلمني "

فقام الرجل على الفور بصفعها بقوة شديدة وساد صوت الصفعة مع اختلاط صراخ تألم الفتاة.

سمعت صراخ بيلا بأذني حينها "لماذا لا يتحرك أحد لإنقاذها؟ "

فأجبتها متوترًا .. "الجميع خائف أن يتدخل بأمر لا يعنيه، فيُصيبه أذى هو بغنى عنه "

فتحدثت بيلا على الفور..

"وماذا عنك؟ أنت تحب أن تتدخل فيما لا يعنيك لتنقذ المظلومين. أنت نصير المظلومين، أنت رمز العدالة بالنسبة لي يجب أن تنقذها "

أرتعش جسدي من كلماتها المفأجاة لي، هل أنا رمز العدالة بالنسبة لها، هل تراني هكذا، هل لهذه الدرجة تعتقد بأني بطل خارق بالنسبة لها، كلماتها دلفت كالسحر لجسدي وجعلتني أنتفض كالثور الهائج وأنا أتقدم جهة الرجل بدون وعي مني وأنا اصرخ لها مطمئنًا..

"سوف أقوم بشرح شيء مختلف لك اليوم يا بيلا، سوف أصف لك شعور أن يكون الشخص بعراك "..

وابتسمت وأنا أمسك بنظارتي جيدًا وأنا أخبر نفسي أن علىّ المحافظة على النظارة جيدًا وإلا أجعل أي شيء يُصيبها حتى ترى بيلا كل شيء يحدث أمامها بوضوح.

صوتها عاد إلى أذني من جديد.."أنت رائع، أنت شجاع، أنا أثق بك "

لا أعلم ما أصابني حينها ولكن بدون وعي مني وجدت نفسي أقف أمام هذا الرجل مفتول العضلات وأنا أنظر إليه مبتسمًا. لاحظت أن جسدي بالفعل ضئيل أمامه ولكن سبق السيف العزل وقمت على الفور بلكمه بقوة شديدة وأنا أصرخ به

.."اتركها أيها اللعين"

ويا للهول، لقد سقط الرجل أرضًا من قوة لكمتي المفاجئة، وعندما نظرت له وهو ساقط أرضًا ويمسك فمه وهو غير مُصدق وتسيل الدماء منه، فتقمصتني روح هرقل وشمشون الجبار وضربت على صدري وأنا أصرخ..

"هل شاهدتِ يا بيلا.. عندما نجمع قبضة يدنا وندفعها بقوة أمامنا فإنها تصبح سلاحًا قويًا للدفاع عن أنفسنا وعن الغير.."

قامت الفتاة بشكري وهي تُمسك يدها متألمة والتف حولي رواد الشاطئ وهم ينظرون لي بإعجاب، فقاموا بسكب المزيد من نشوة النصر بجسدي لأرفع صدري منتفخًا بنصري الذي لم يكتمل حيث وجدت ضربة قوية للغاية بوجهي فسمعت صوت تحطم النظارة قبل

أن أجد شظاياها بوجهي، ومن ثم القوة الدافعة من قبضته تنسل إلى أنفي فتحطمه وتطيح بي أرضًا. اختل توازني وسقطت أرضًا وكدت أغيب عن الوعي ولكن ما منعني من ذلك قلقي على النظارة، هل تحطمت؟، هل شاهدت بيلا ما يحدث؟، كيف ستتابع الأمر إذا تحطمت؟، وعلى الفور قمت بنسيان حال أنفي الذي أصبح بحال يُرثى لها والزجاج المُبعثر على وجنتي وعيني التي انتفخت في الحال، وأخذتُ أتحسس النظارة المُهشمة على وجهي ونزعتها عن رأسي لاشاهدها مُحطمة تمامًا. شعرت حينها بالخوف الشديد، لقد فقدت بيلا، لقد فقدت بيلا، بيلا، بيلا، ظللت أصرخ وانا أتحسس الأرض أمامي، والجميع ينظر إلى ردة فعلي الغريبة تلك ولكن اطمئننت عندما سمعت صوتها يدوي بأذني..

"ماذا حدث، هل أنت بخير، هل أصبت؟!!"

صرخت عليها على الفور.."هل النظارة تحطمت، هل تحطمت، هل تُشاهدين شيئًا؟ "

أجابت على الفور"نعم لقد تحطمت لا أستطيع أن أرى شيئًا ولكن أسمعك جيدًا"

هنا قمت على الفور بإغماس سماعة البلوتوث أكثر وأكثر بأذني حتى لا تسقط.. "

"اذا اسمعي جيدًا يا بيلا سوف أصف كل شيء لك كأنك ترينه.. "ولم أنتظر إجابتها وهجمت على الرجل وأنا أصف لها ما افعل مثل المُعلق الرياضي بماتش منتخب إنجلترا..

"ها أنا ذا أركض جهته يا بيلا وأمسكه من قدمه"

وسط اندهاش رواد الشاطيء والرجل الذي أتصارع معه من صراخي، والتحدث إلى نفسي ولكنه حاول أن يُبعدني عنه وهو يصرخ عليّ مصدومًا "ما الذي تفعله، هل أنت مجنون؟!!"

تابعت حديثي إلى بيلا وأنا أرفع قدميه؟، وأنا احتضنهم بجسدي لأدفعه إلى الخلف"أقوم بإسقاطه على الأرض الآن يا بيلا.. "

وهي تصرخ بأذني "رائع، جيد أيها البطل "

سقط الرجل أرضًا وأنهلت عليه باللكمات وهو يحمي وجهه بيده، وتابعت تعليقي على الأمر لبيلا "ها أنا الآن أقوم بلكمه وهو على الأرض حتى لا يستطيع الدفاع عن نفسه.. "

تحدث أحد رواد الشاطئ لزميله وهو يصنع دائرة بسباته بجوار رأسه..

"لمن يتحدث هذا الرجل ويصرخ هل هو مختل؟ "

نظر صديقه إليه وتراجعوا للخلف قليلًا خائفين. أكملت صراخي لبيلا وأنا ألقي بلكماتي العشوائية على الرجل أمامي والذي استطاع وبكل أسف أن يفلت منها، وهو يدفعني بقدمه بكل قوة بمعدتي التي أمسكتها وأنا أتألم بشدة ولكن لم أتراجع عن وصف الأحداث لها..

"لقد دفعني بقدمه بقوة بمعدتي يابيلا، اااه.. أنها تؤلمني بشدة يا بيلا، أثار أقدامه الضخمة المُختلطة بالرمال ما زالت عالقة بملابسي يا بيلا، إنه يُمسكني من ظهري، يُريد أن يدفعني أرضًا يابيلا، ااخ، لقد لكمني بشده بذقني الآن، اشعر بدوار شديد يا بيلا، أشعر بدوار شديد، لـ.. لق.. لقد سقطت على الأرض بيلا، يدفعني بقدمه الآن بظهري وأنا على الأرض، لقد تلطخ وجهي بالرمال، لقد

دخلت الرمال لفمي يا بيلا، إن طعم الرمال غير مُستساغ يا بيلا، طعمه سييء للغاية، لا انصحك بتناول الرمال كطعام أبدًا."

لم أعد أشعر بالركلات او اللكمات، أعتقد اني قد أعتدت عليها، حولي أصوات صراخ واستهجان وصوت سيدة تصرخ متحمسة..

"لقد أتت الشرطة "

بدأت أشعر بأن الرؤية تختفي من حولي ورأسي يزداد ثقلًا وقربًا من الأرض، أشعر براحة شديدة وأنا أحتضن الرمال بوجهي، لقد شعرت بأني أغيب عن الدنيا رويدًا رويدًا ولم أعد أسمع سوى صوت بيلا التي تنادي عليّ بقلق للحظات ومن ثم لم أعد أسمع شيئًا.

يومان بالمشفى ومن ثم خرجت. بعض الأمور القانونية التي انتهت بسلاسة شديدة بسبب الضابط فيل جونز، ومن ثم تم استدعائي إلى القصر وبعد صريخ وعويل وتهديد ووعيد من كبير الخدم عدت إلى عملي بعد التعهد بخصم جزء شهريًا من راتبي للتعويض عن ثمن النظارة الباهظ التي حطمتها.

* * *

مرت سبعة أشهر على بداية معرفتي ببيلا. أصبحت لا أطيق الابتعاد عنها.. سبعة أشهر جعلتني بيلا أشعر بطعم كل شيء بحياتي من جديد. أستمتع بأقل تفصيلة أفعلها، تثاؤبي عندما استيقظ مِن النوم أصبحت أراقبه لكي أشرحه لبيلا، المياه بفمي أصبح لها طعمٌ آخر، مذاق الطعام، رائحة الهواء، ملمس الملابس على جسدي، أنماط البشر حولي، همهماتهم، اختلاف نبرات أصواتهم، كل شيء كان يدور بفلكي ولا أعطي له بالًا أصبح له معني جديد مختلف.

بالفعل إن إغفالنا عن التفاصيل هو ما يجعلنا نغفل عن حياتنا ولا نشعر بأن لها معنى. واكتشفت أن السبب وراء كل شخص ناجح وموهوب أنه يهتم بالتفاصيل أكثر من الآخرين بحياته. ظللت أعمل طوال اليوم ولا أعود إلا عندما يتصل بي رئيس الخدم ويطلب مني العودة. لم أعد أهتم بمواعيد العمل أو خلافه.. لا أطيق أن ابتعد عن بيلا أبدًا حتى بعد مواعيد العمل الرسمية، ولهذا قمت بشراء نظارة أخرى وسماعة أذن مثل التي معي، وأقوم بتسليمها يوميًا كعهدة لكبير الخدم بينما أحتفظ بالنظارة والسماعة الأصلية لأتحدث مع بيلا كل يوم أمام المرآة حتى تستطيع أن تراني دائمًا ولا نفترق عن بعض إلا بمواعيد نومنا التي كانت تقصر شيئًا فشيئًا..

كنت في خلال تلك الفترة أضع خططًا وفرضيات لإخراجها من محبسها، وكنا نفعلها بتأنٍ شديد وبصبر أشد حتى لا ينكشف أمرنا. قمت بإخبارها بأن تتصيد الأخبار من أي خادم يقترب منها، وتسأله أسئلة محددة وأعطيتها أمثلة كثيرة لتستخدمها، وجعلتها تراقب كبير الخدم وتتودد إليه وإلى بعض الخدم الآخرين حتى تستطيع الوصول إلى أي معلومة تُعيننا على أمر هروبها. واستمررنا على هذا الأمر حتى حلول يوم التاسع من هذا الشهر حيث تحدثت إلى بيلا بعد انتهاء اليوم، وكانت الساعة تقترب من الثانية عشرة مساءً. كنت أجلس أمام المرآة لكي تراني وأنا أجاذبها أطراف الحديث لتعطيني تقريرها اليومي. لقد استطاعت خلال تلك الفترة أن تجعل خادمتين في صفها، كاثرين وتيتوانا خادمتان كانا يُعاملانها بطريقة جيدة ويمرران لها بعض الطعام والحليب خلسة بين الحين والآخر

لأنهما متعاطفتان معها، ويشعران بالشفقة على ما آل إليه وضع تلك المسكينة. كانت تيتوانا تراقب كبير الخدم دون أن يشعر وتنقل أخباره إلى بيلا أولًا بأول، وبيلا تنقل لي تلك الأخبار بدورها. أما كاثرين فقد كانت حركة الوصل بيني وبين بيلا فاستطاعت أن تنقل بيننا بعض الأدوات والملابس التي ستساعد بيلا في الهروب أو بالاختباء من كبير الخدم أو أي من يلاحقها بعد ذلك، واستطاعت في اليومين السابقين أن تعطيني خريطة مرسومة بطريقة سيئة لمكان احتجاز بيلا بالقصر لأكتشف أنها مُحتجزة بداخل قبو أسفل مطبخ الطعام بالطابق الأول، ولهذا كنت لا أستطيع الوصول إليها مهما حاولت بمفردي بين حجرات القصر. نعم فبعد كل تلك المدة التي مكثتها بالعمل أصاب كبير الخدم الضجر مني، وأصبح لا يعبأ بأن يزعجني مرة أخرى، واكتفى بأن يقابلني كل يوم بوجه عابس فقط أما الرقابة اللصيقة التي كانت تصاحبني داخل القصر، فهي أصبحت شبه معدومة أدخل وأخرج كما أشاء، ولكن كنت أمنع من الدلوف لعدة أماكن بالقصر، ومنها المطبخ وأصبحت على يقين الآن لماذا كنت أمنع من الذهاب إليه!.

كانت خطتي بسيطة ولكن ماكرة. كنت أنوي الهروب مع بيلا بعد عدة أشهر حيث أن إجازات أعياد الميلاد تقل بها الكثافة الكبيرة للعاملين بالقصر، وللحرس فنستطيع أن نتسلل بسهولة أكثر من أي فترة أخرى، واتفقت مع أحد معارفي سيقوم بإخراجنا أنا وبيلا خارج المملكة المتحدة. سوف نذهب بالباخرة إلى إسبانيا لكي نمكث عند أحد أقاربي، وسيجد لي عملًا بأحد المجازر الآلية هناك. كل شيء

معد وجاهز حسب الخطة، وبعد أن نستقر باسبانيا لفترة قصيرة سوف نتزوج أنا وبيلا وسوف نُنجب أيضًا. أخبرتني بيلا أنها تريد أن تنجب خمسة أطفال لأنها عاشت طوال حياتها بمفردها، ولا تريد أن تكون وحيدة مرة أخرى طوال حياتها. على الرغم من أن إنجاب خمسة أطفال بهذا العالم بوضعه الحالي هو أشبه بالتعذيب، ولكن لا مانع من المحاولة فلدي الرغبة بكل تأكيد لتحويل كل أمنيات بيلا إلى واقع. لقد عانت بحياتها الكثير وأريد أن أجعلها تعيش حياة هانئة سعيدة ولكن ولكن، لم ينته الامر كما توقعت فلقد استيقظت ذات صباح على صوت بيلا يصرخ بإذني فاستيقظت فزعًا وسألتها مستفسرًا "ما هنالك يا بيلا، ماذا حدث؟!"

بأصوات هلعة مُتقطعة.."لقد علموا بكل شيء، لقد علموا بكل شيء "

وقفت فزعًا من على سريري وأنا أضغط على السماعة بأذني بقوة "ماذا تعني بأنهم علموا كل شيء، أخبريني بالحال ماذا حدث؟!!"

"لقد أمسك جورج بالخادمة تتوانا وهي تراقبه وقام بتعذيبها لكي تخبره لما فعلت ذلك، ولقد أخبرته عن كاثرين التي جاءت إليّ لكي تحذرني منهم، ولكنهم أخذوها من أمامي بالقوة ولا أعلم إلى أين سوف يذهبون بها الآن؟"

شعرتُ بقلبي يكاد يقفز بين ضلوعي. كل شيء قد خططنا له ينهار أمامي الآن ولكن يجب أن أتصنع الجلد أمام بيلا. لا يجب أن أجعلها تفقد الأمل بأن تنال الحرية فلا ضامن لما ستفعله حينها فمن الممكن أن تقوم بإيذاء نفسها، فحاولت تهدئتها وأن أسيطر على

مشاعر الخوف لديها..

"لا تقلقي، لا تقلقي، كل شيء على ما يرام، أنا سوف أقوم بإخراجك من محبسك بأي ثمن ممكن، أنا قد وضعت خطة أخرى إذا فشلت خطتنا الأولى"

أجابتني بصوت مرتعب:"ماذا، هل لديك خطة بديلة؟، هل ستخرجني من هنا؟، هل سنكون معًا؟!!

لم أشعر بنفسي إلا وأنا أمسح دموعي المنهمرة على خدي بدون أن أشعر..

"لا تخافي يا بيلا، سوف نكون معًا، أعدك أن نكون معًا حتى ولو كان هذا آخر شيء يحدث بالكون "

تنهدت براحة شديدة.. "لا تتصور كيف أنا منتظرة أن اشعر بك بداخلي ونصبح كيانًا واحدًا "

ابتسمت وأنا أمسح ما تبقَى من دموعي.. "قريبًا.. قريبًا يا بيلا "

هنا صمتت بيلا فجأة ولم تتحدث فشعرت بالقلق.."ماذا هنالك يا بيلا "

سمعتها تصيح بصوت مرتفع،"لا، لا، لا أتحدث مع أحد الآن صدقوني"

هنا سمعت صراخها وهي تقاوم بشدة.. "اتركوني، اتركوني، لا، لا اتركوني، أنقذني، أنقذني يا بطلي، أنقذني"

أخذت أصرخ فزعًا وانا لا أفهم ماذا حدث.. "بيلا، بيلا، أين ذهبتِ...؟!!"

وسريعًا ترامى إلى أذني أصوات شخص يتنفس ولا يتحدث

بالسماعة، ومن ثم سمعت صوت السماعة وهي تتحطم بسرعة. وعلى الفور علمت بأن هذا هو جورج كبير الخدم، وهو على علم الآن بأني كنت أتحدث مع بيلا كل تلك الأيام الماضية وكنت أخدعه. ماذا سيفعل مع بيلا الآن؟، هل سيقوم بتسليمها إلى أقاربها الذين يريدون أن يتخلصوا منها الآن الأمر برمته أصبح كاللعب المكشوف يجب أن أتحرك، يجب أن أنقذ بيلا بأي ثمن كنت أنطق تلك الكلمات وأنا أقفز مسرعًا إلى الدرج الذي بجانبي واستخرج منه سلاحي الناري الذي اشتريته من تاجر المخدرات الذي يمكث بآخر الطريق ليلًا. تحصلت عليه كطريقة أخيرة للدفاع عن النفس عند هروبي أنا وبيلا، ولم أعتقد بأني سوف احتاجه أبدًا، ولكن تغير كل شيء الآن يجب أن أنقذ بيلا بأي ثمن. كان لابد من أن أتحرك على الفور. قمت بتفقد السلاح الناري بعجالة وأنا أعد طلقاته النارية بداخله، وقمت بارتداء ملابسي على الفور ووضعت السماعة بأذني والنظارة على وجهي وانطلقت بطريقي جهة القصر، وانا أحاول أن أتصل ببيلا بأي شكل، ولكن هذا لم يحدث أبدًا، فقمت بالتخلص من السماعة والنظارة وحطمتهما على الفور، وأنا بذلك أدمر أي شيء يذكرني بالماضي الخاص بي عندما كنت جبانًا مُنصاعًا لمن هم أقوى أو لديهم سلطة أعلى مني، ولكن كل هذا انتهى الآن، منذ تلك اللحظة أصبحت شخصًا جديدًا مغايرًا تمامًا لشخصي القديم كل هذا بفضل بيلا، لولا ضعفها لما رغبت بأن أظهر قوتي. ظللت أتحسس سلاحي بجيبي بأطراف أناملي طوال رحلتي من المنزل حتى باب القصر، ونزلت من سيارة الأجرة، وأنا أحمل غضب العالم

بين ضلوعي، ورفعت سلاحي الناري على الفور أمام البوابة جهة الحرس المتمركزين هناك ولكن لحسن الحظ لم أجد أي حرس هنا نهائيًا. يبدو أنهم بحالة ارتباك مثلي مما حدث. قررت أن استغل تلك اللحظة وركضت بكل قوة وسرعة جهة القصر وأنا أنظر إلى البحيرة وما يحاوطها من بجاع، وأنا أتذكر اليوم الأول لقدومي لهذا القصر، وكم كنت جبانًا رعديدًا فاقد الثقة بنفسي وبمن حولي، وكيف أنا الآن أعود إلى تلك البقعة وأنا صدري ممتلئ بنيران تنين الغضب يريد حرق أي شيء يقف بطريقه، وأحمل بين يدي سلاحي الناري البارد بين قبضة يدي التي ما زالت ترتعش على الرغم من حالة الغضب والعزم التي تنتابني. قطعت المسافة بين بوابة القصر الخارجية وبين باب القصر بوقت قياسي، فدفعت الباب بقدمي بقوة لاجد أمامي خادمة وعلى الفور أطاحت بما تحمله بين يديها وهي تولي من أمامي هاربة وهي مرتعدة من رؤيتي أمامها وأنا أحمل سلاحي الناري بعزم. مشهد هروبها ورائحة خوفها تسللت لقلبي فدفعت بدمائي خفقات جديدة من القوة والسطوة بأوردتي، فالخوف مادة دسمة للإلتهام لدي الضواري كلما أنطلق من الفريسة زاد الضواري قوة وعتوة. أنا الآن وحش ضارٍ كاسر وجميع من بالقصر هم فرائسي. لن ينجو من غضبي أحد إذا وقف بوجهي، لن يحول أي شخص بيني وبين محبوبتي بيلا..

ظللت أركض بين أروقة القصر أبحث عن المطبخ حيث لم أستطع أن أكون بعقلي خريطة جيدة للمكان، فهم لم يتركوني بمفردي وقتًا كافيًا لأفعل ذلك. كنت أنظر إلى الخريطة المهلهلة التي تركتها لي

كاثرين، ولكن لم أجد لها نفعًا نهائيًا بالواقع العملي. أثناء بحثي عن مكان بيلا كان يتخلل طريقي بعض الخدم الذين عندما يلقون نظرة سريعة على وجهي الغاضب المصاحب لسلاحي الناري المُتحفز للإطلاق كانوا يركضون فزعين هاربين على الفور، حتى بعض الخدم الذين كانوا يُلازمون جورج كبير الخدم وكنت أخشى من مواجهتهم كانوا عندما يلاقونني أمامهم يضعون أيديهم فوق رأسهم خائفين ويجثون على أقدامهم كأسرى الحرب. كنت أشعر بالزهو والفخر من فعلهم هذا. كان يملؤني الأدرينالين وكنت كمن أمتلك حبات الشجاعة إذا كان لها وجود كنت أنتشي وتصيبني رعشة كرعشة الجماع كلما أراقب مقلات عيونهم الذليلة تخشى النظر اليّ. اااااه، اللعنة، لماذا لم أفعل ذلك منذ زمن طويل؟، كنت خائفًا ومذعورًا بسبب حاجز وضعته برأسي، ولكن بالحقيقة كلهم مرتعدون خانعون كصغير جرذ يشاهد البشر لأول مرة بحياته..هنا عاد إليّ رشدي سريعًا لا يجب أن أتمادى بنشوة انتصاري الآن، فالكثرة تغلب الشجاعة لقد أخذتهم على حين غرة، ولكن إذا تكاتف الجميع ضدي لن يكون لديّ أي فرصة لمواجهتهم حتى مع سلاحي الناري، ولا أنسى صديق جورج كبير الخدم هذا الشرطي الذي يدعى فيل جونز سوف يدعوه للقدوم والقبض عليّ، وأنا لم أنقذ بيلا بعد يجب أن أسابق الزمن لكي نخرج أنا وهي من هنا، ومن ثم يذهب العالم بأكمله إلى الجحيم فيما بعد لا يهمني.. هنا توقفت عن الحركة بدون مغزى مثل ما كنت أفعل، وحاولت أن أركز وأتذكر جيدًا أين مكان هذا المطبخ اللعين؟، ولكن لم أتذكر بسبب توتري، وهنا ظهرت أمامي خادمة يبدو عليها

أنها كانت غافلة عما يدور بالقصر، وصرخت عندما شاهدتني وهنا ابتسمت فرحًا أنها فرصتي الآن انقضضت عليها سريعًا وأمسكتها من ذراعها وأنا أهددها صارخًا..

"أرشديني إلى المطبخ حالًا إذا أردتِ ألا أوذيكِ "

وعلى الفور قامت بإيماء رأسها موافقة وصراخها يتفلت منها وأنا أسحبها من يدها وهي تتحرك خلفي تدلني على المكان، ويالا العجب لقد رأيته أمامي أخيرًا، هذا المطبخ اللعين لقد مررت من أمامه أكثر من مرة منذ قليل ولم أتعرف عليه، تبًا لتوتري، دفعت الخادمة بعيدًا فصرخت وهي تسقط أرضًا أمامي، ومن ثم أخذت تزحف على يديها وأقدامها كالطفل الرضيع. هنا وجدت أحد الطهاة بملابسه الرسمية بداخل المطبخ وقد استنفر بصراخ الخادمة الهاربة فوجدته يترك ما يفعله ويرفع سكينة أمامي ملوحًا مهددًا. رفعت سلاحي الناري وأنا أشتعل غيظًا.. كيف يتجرأ هذا الطاهي اللعين على عدم الخوف مني؟ كيف يتجرأ على مقاومتي ورفع سكينه أمامي؟، من هذا الآسيوي اللعين هذا الذي قدم لبلدي ليأخذ عملًا بها عندما كنت لا أجد أنا عملًا، بل والأدهى من ذلك أنه قدم من بلده الآسيوية اللعينة تلك لكي يقف حائلا بين إنقاذي لبيلا محبوتي. يجب أن يموت هذا اللعين، يجب أن يموت. قررت أن أطلق الرصاص على رأسه، فلمحت نظرة الفزع على وجهه وخوفه مني، إنه خائف، إذن يجب أن أعفو عن حياته طالما علم بخطئه وقرر أن يخشاني ويعلم قدري، ولكن قلتها وأنا أطلق الرصاص على كتفه فأسقط سكينة وهو يصرخ متألمًا. ألقى نفسه على الأرض وهو يُحاول الهرب من أمامي وهو يتعلق بأي

شيء بمجال يده، فأسقط الأواني والأطباق حوله متألمًا، منظره وصراخه أصابني طربًا. هذا هو جزاؤك لأنك فكرت أن تقف أمامي، وهذا سيكون مصير أي شخص يحول بيني وبين بيلا. تركته مضرجًا بدمائه واتجهت ناحية الثلاجة الكبيرة التي بالمطبخ فبجوارها المصعد الذي يوصل للقبو كما أخبرتني كاثرين الخادمة وبالفعل وجدته بابًا خشبيًا يغطي باب مصعد متهالك يبدو أنه يعمل منذ ٢٠٠ عام أو يزيد فهو يدوي وبدون كهرباء. شعرت بالقلق للحظات، وأنا أدلف بداخله هل سيتحمل هذا المصعد المُتهالك جسدي الذي تحول من النحافة الشديدة إلى البدانة المفرطة بطريقة لم أكن أتصور بها نفسي من قبل ويعود الفضل لهذا لبيلا التي جعلتني أحب الطعام وأستسيغه بعد ما كنت ازهده من قبل. طار قلقي عندما وجدت المصعد يهبط بي بكل سلاسة دون أي معوقات، وشعرت بنبضات قلبي تكاد تنفجر فرحًا وهي تترقب لقاء بيلا بعد كل هذه الفترة. يا ترى كيف سيكون شكلها؟، هل سيكون مثلما صنعها خيالي أم لا؟، هل ستكون أجمل مما تخيلت؟! هل ستكون أقبح؟!! لايهم حتى ولو كانت قبيحة فيكيفيني روحها التي جعلت لحياتي طعمًا آخر. ظل يهبط بي المصعد لفترة طويلة شاهدت خلالها الحوائط الأسمنيتة تنتهي ليظهر بعد ذلك الحوائط الصخرية القديمة التي هي أساس هذا القصر الأثري. اللعنة عليهم هل يضعون تلك الفتاة الرقيقة بأسفل كل هذه الطوابق. إنها شبه مدفونة حية كل ذلك من أجل النقود، هذا كله من أجل إرثها اللعين، ألا لعنة الله على النقود ومن يستهين بحياة البشر من أجلها..

توقف المصعد أخيرًا، أنا لا أصدق، هل سوف أرى بيلا؟، هل سوف أقوم باحتضانها بعد قليل؟، هل ستكون بين ذراعي احتضن كيانها الصغير بين جسدي؟، لا أطيق صبرًا لذلك. ظهر أمامي ممر طويل يقود إلى القبو، أنا أرى أمامي الآن بكل وضوح بابًا حديديًا قديمًا ومتهالكًا ومكتوبًا عليه بالإنجيلزية الكبيرة..

"لا تقترب، وإلا سوف تموت "

شعرت بالغضب الشديد عندما شاهدت هذا التهديد الموضوع أمام غرفة تلك الفتاة المسكينة، هل يهددونني الآن بأني سوف أقتل إذا حاولت تحريرها؟، ولكن هيهات، أنا التهديد الآن، من سيقف أمامي أنا وبيلا سوف يكون مصيره هو الموت وليس نحن.. شاهدته يقف أمامي ممسكًا بسيف قديم أمام بابها، هل يظن كبير الخدم العجوز هذا نفسه فارسًا أم ماذا؟ رفعت سلاحي الناري الذي ما زال ساخنًا بسبب إطلاقي الرصاص سابقًا ورائحة البارود تَزكم أنفي، فتجعلني أشعر بالقوة والسمو فصرخت على جورج العجوز..:"ابتعد عن الباب أيها الوغد وإلا قتلتك.."

نظرلي كبير الخدم بثبات يُحسد عليه ورفع سيفه أمامه مهددًا.."اذهب من هنا الآن إذا أردت أن تعيش "

شعرت بالغضب الشديد من حديثه فهو لم يشعر بالخوف مني مثل الباقي وحسب بل أنه يقوم بتهديدي الآن على الرغم من حمل سلاحي أمامه فصرخت عليه بضيق..

"أيها الوغد اللعين، لماذا تتأسد أمام باب تحتجز به فتاة صغيرة حرمت من أن ترى نور الشمس وتشتم رحيق الحرية، انت حتى لم

تترك لها حرية تناول الطعام الذي تريده "

تملك الغضب وجه كبير الخدم وصرخ متشدقًا.. "أنت أحمق لا تفهم شيئًا.. هذا الأمر أكبر من مخيلتك "

اقتربت منه وأنا أحذره وأصرخ مناديًا جهة الباب خلفه..

"بيلا، محبوبتي، هل أنت هنا، لقد أتيت لإنقاذك "

أتى صوت بيلا وهي فرحة من خلف الباب "أنا هنا، يا بطلي، أرجوك أنقذني أنا هنا خلف الباب، حررني أرجوك "

ضرب كبير الخدم بيده التي تحمل السيف على الباب بغضب شديد..

"اصمتي أيتها القذرة "

فعله هذا جعل الدماء تغلي برأسي، فاقتربت منه وأنا ألوح بسلاحي الناري..

"أنت أيها الوغد، لا تصرخ عليها هكذا"

لم يعبأ كبير الخدم بحديثي إليه ورفع سيفه أمامي ملوحًا به.

".. هذه هي فرصتك الأخيرة لكي تخرج من هنا حيًا، اغرب عن وجهي الآن وانس كل شيء رأيته أو سمعته هنا.. "

صرخت عليه بحنق شديد.. "اصمت، لن أترك بيلا بين أيديكم أبدًا "

أجابني بنبرة مترجية.."أرجوك استمع إلى حديثي، أنت لا تفهم شيئًا، استمع لي، اذهب إلى غرفتي بالطابق الثالث سوف تجد أسفل سريري صندوقًا قديمًا به ٢٠٠٠ قطعة ذهبية أثرية قيمتها قد تتعدى ملايين الباوندات، فلتأخذها ولترحل من هنا الآن ولتنس كل شيء قد حدث "

سمعت صوت بيلا تترجاني من خلف الباب..

"أرجوك لا تستمع إليه وتتركني، أرجوك أنقذني يا بطلي لا تتركني هنا بمفردي.."

سماع صوت بيلا تترجاني وهي يائسة من خلف الباب مزق نياط قلبي لا أعلم لماذا لم أطلق النار على كبير الخدم حتى الآن، لا أعلم، هل لأني كنت أحترمه وأخشاه كل تلك الفترة السابقة أم لا؟، كل ما شعرت به هو ترددي في إطلاق النار عليه..

طمأنت بيلا على الفور وأنا أتقدم جهة الباب حذرًا:"لاتخافي محبوبتي لن أتركك مقابل ملايين العالم كله"

نظر لي كبير الخدم مصدومًا.."أيها الوغد، ما زلت مُصرًا على عنادك، إذًن سوف أقتلك، لن أدعك تحررها أبدًا "

ركض جهتي وهو يرفع سيفه وشعرت بالخوف منه، وتوقف جسدي عن الحركة فجأة، ولكن سماع صراخ صوت بيلا اليائس وهي تصرخ عليّ بأن أهرب حتى لا يقتلني أعاد لي رشدي، حتى بأحلك الظروف فكرت بيلا بالتضحية بنفسها وعدم إنقاذها ونيل حريتها في مقابل إنقاذي، ولكن هذا لن يحدث، لن أترك بيلا أبدًا. رفعت سلاحي الناري بكل قوة وعزم جهة رأس كبير الخدم الذي لم يتوان عن الهجوم علىّ الفور، ولكن ترددت بإطلاق الرصاص على رأسه فقمت بإطلاق الرصاص على كتفه، فتألم ولكنه ظل يتقدم جهتي أيضًا وهنا شعرت بالخوف الشديد أنه ما زال يتقدم جهتي وسيفه يكاد يلامس جسدي، فقمت بإطلاق رصاصتين بسرعة شديدة فسقطتا بجانبه الأيمن وقدمه اليمنى، وسقط كبير الخدم أرضًا مضرجًا بدمائه. شعرت

بالخوف الشديد وأنا أراه يصرخ عليّ، ويتمسك بقدمي، اللعنة عليه لماذا كل هذا الإصرار؟، هل هو من النوع الانتحاري؟، هل يريدني أن أقتله؟، لا لن أقتله هدفي الآن هو إنقاذ بيلا هذا له الأولوية الآن. فقمت على الفور بإمساك السيف من يده ومحاولة نزعه منه بالقوة على الرغم من تشبثه به لفتره طويلة، ولكن نجحت في إبعاده عنه وألقيته بعيدًا، وأنا مندهش من وزن هذا السيف الضخم الذي كان يحمله بيده. ركضت جهة بيلا ووقفت أمام الباب الضخم وأنا فرح، وظللت أصرخ عليها وأنا أحاول ان افتح الباب الذي لم يكن له مقبض، وانا اطرق عليه وأبشر بيلا بقدومي..

"لقد أتيت يا بيلا، سوف أقوم بإنقاذك الآن"

صرخت عليّ بيلا قلقة.. "ماذا فعلت مع جورج، هل قتلته، هل مات؟!!"

تلك الفتاة الرقيقة، على الرغم من كل ما فعله معها كبير الخدم، ولكنها ما زالت قلقة عليه"

طمأنتها على الفور "لا تخافي، لقد أصيب فقط ولكنه لم يمت، عندما نخرج من هنا سوف تشاهدينه بنفسك "

بصوت مطمئن هادئ:"حمدًا للرب، كنت أخشى أن تقتله "

"لا تخافي وأنا معك "

قلتها وأنا أحاول فتح الباب، ولكن يبدو بأنه يفتح بمفتاح كبير الخدم فقط فنظرت إليه، وهو يزحف ارضًا وهو قادم جهتي. لن أقترب من هذا الرجل إنه مخبول لن يتركني إلا إذا قتلته، ولن افعل ذلك ابدًا خصوصًا بعد قلق بيلا عليه، فتذكرت سلاحي الناري فقمت

بإشهاره على الفور وقمت بإطلاق ثلاث رصاصات على مكان المفتاح بالباب، وبالفعل فتح الباب أخيرًا، فدفعت الباب بقوة وأنا أركض إلى الداخل، وأول شئ شعرت به حينها بالغرفة هو درجة الحرارة الشديدة التي تلفح المكان ورائحة كريهة تشبه رائحة مزارع الدواجن، كيف كانت تعيش تلك المسكينة بهذا المكان اللعين لسنوات؟ كانت الغرفة كبيرة وواسعة ومليئة بأرفف خشبية بها العديد من زجاجات الخمور القديمة والكثير منها مهشم. يبدو أن هذا القبو كان مجهزًا لتخزين النبيذ، وبأعلى الغرفة كان يوجد مصباح زيتي قديم يخرج بعض الضوء الذي يجعل الرؤية تكاد تكون معدومة في ظل كل هذا الظلام المُحيط بالغرفة. صرخت على بيلا على الفور..

"محبوبتي بيلا، أين أنت؟، لقد أتيت لتحريرك، هيا بنا لنخرج من هنا ونتزوج "

وهنا ظهرت أمامي أخيرًا.. يا الله... كانت ملاكًا بجسد إنسان، إنها كل ما تخيلته وأفضل بكثير. لقد شاهدتها تقف أسفل المصباح، وضوءه ينعكس على وجهها. كانت تقف بين صفين خشبين ضخمين بهما عدد كبير من النبيذ المعتق، فشعرت على الفور بجسدها الصغير بين هذين الحجمين الضخمين، كانت بطول ١٦٠ سم تقريبًا، وجهها أبيض به نمش قليل محبب، وبشعر أصفر مجعد منسدل على جسدها يكاد يميل إلى الاحمرار، وترتدي فستانًا أبيض يكاد يفضح جسدها أسفله، ها أنا أشاهد ثدييها الصغيرين اللذين بحجم فاكهة الكمثرى وأردافها الصغيرة البيضاء، وهي تلتف أمامي لتريني نفسها وهي فرحة وتتحدث بصوت هادئ..

"لقد أتيت يا بطلي العظيم، لقد كنت أنتظر هذه اللحظة منذ اليوم الذي وقعت عيني عليك به."

يا إلهي على صوتها الرائع الرخيم، صوت فتاة صغيرة تكاد تشعر بأنها تضحك وتغني وتغنج بنفس الوقت. لم أستطع أن أحتمل كل هذا الجمال، فبالفعل أكاد من فرط الجمال أذوب، فتساقطت عبرات من مقلتي وعضضت على يدي غير مصدق، هل هذه بيلا حقًا؟، هل تحققت كل أحلامي وتحولت إلى حقيقة؟، سوف أتزوج تلك الفتاة ونعيش معًا لنهاية عمرنا، لا أستطيع المقاومة، يجب أن تكون بين ذراعي الآن، يجب أن اتحسس هذا الجسد وأعتصر هذين الثديين، وأتلمس هذه الأرداف، يجب أن أشعر بدفء نفسها بين وجهي، يجب أن تشعر بيلا بما داخلي الآن، فركضت عليها وأنا غير مصدق أني كنت أعيش كل هذه الأيام بدون شعور حبي لبيلا بتلك اللحظة، فتحت بيلا يديها وتحدثت بغنج شديد..

"تعال إليّ الآن "

وهنا أفاقني من نشوتي تلك صوت كبير الخدم اللعين وهو يصرخ خلفي..

"لا، لا تذهب إليها أيها الأحمق"

نظرت إليه بغضب شديد، وتمنيت أن يكون سلاحي الناري بين يدي لكي أسكت صوته للأبد جزاءً على إفساده لتلك اللحظة التي لن تأتي بحياتي مرة أخرى أبدًا، فأفضل شعور لأي شيء على الاطلاق هو شعور المرة الأولى.. أخذت انظر إلى السلاح الناري بيدي فلم أجده ولا أعلم اين أضعته لا يهم، ما يهم الآن هو أن احتضن بيلا بجسدي ومن ثم نخرج من هنا لنغترف بشعور الحب العذري بعيدًا

عن أعين الناس..

فنظرت بيلا أمامي من جديد وكانت ابتسامتها لا تفارقها، ولكن حدث شيء مريب أمامي، أعتقد بأنه غير حقيقي يبدو أن رائحة تلك المكان أصابتني بشيء من اللوث، فلقد خرج من جسد بيلا دخان أخضر غريب، دخان أخضر كثيف يخرج من كل انحاء جسدها وينتشر بجميع انحاء القبو، وهنا دلف إلي مسامعي صوت كبير الخدم خلفي وهو يزحف على باب القبو

"ها هي كشفت عن نفسها أخيرًا"

لم أفهم معنى كلماته، ماذا يقصد بها؟!

وهنا ظهر أمامي وسط كل هذا الدخان الأخضر شيء مخيف للغاية، شيء ضخم أشبه الي جسد امرأة إذا كان هذا الشيء نستطيع ان نطلق عليه امرأة، كان لديه ذراعان ضخمان ممتلئان بالعضل وجسد ممتليء كجسد الدب وجسدها دائري من المنتصف ووجهها يشبه الدائرة أيضًا لها فم ضخم به أسنان كأسنان القرش، وعيناها يلتفان بمحجريهما ب ٣٦٠ درجة، وشفاها حمراء لامعة وبها أنف أفطس صغير كأنف الأسماك الصغيرة، إذا كان لها أنف، وأقدامها ليست هذه اقدام إنها زوائد مثل أذرع الإخطبوط ولكن ضخمة للغاية اكثر من ستة عشر ذراعًا أو أكثر لا أعلم ترفعها عن الأرض إلى أعلى ليصبح رأسها يقارب السقف، وكان شعرها ما زال مجعدًا أشقر يميل إلى الحمرة كلون شعر بيلا. لم اشعر بنفسي إلا وأقدامي تخور أسفل مني، لم أستطع أن أنطق أو أن أتحدث أو أتنفس فقط قشعريرة، قشعريرة كالتي تصيبك بوسط ليلة شتاء باردة، ولكن

قشعريرة الخوف أسوأ من هذا الإحساس بمائة ضعف. أخذ جسدي كله يرتعد وأنا أحاول أن أتراجع للخلف بعيدًا عنها وأنا مصدوم، أين ذهبت بيلا؟، بيلا، أخذت اصرخ بيلا، أين أنت؟، كنت أخاف عليها من ذلك الكائن المخيف أمامي "

صرخ عليّ كبير الخدم خلفي بغضب شديد..

"تنادي على من أيها الأحمق اللعين، إنها هي التي أمامك الآن"

نظرت إليه غير مصدق، مستحيل أن يكون ما قاله صحيح، نظرت أمامي سريعًا إلى هذا الكائن المخيف هل من الممكن أن يكون هذا الشيء الجحيمي هو بيلا بالفعل هذا مستحيل؟، وجاءتني الإجابة سريعًا بضربة من أحد أذرع هذا الكائن بمنتصف ركبتي اليمني فحطمتها على الفور ومزقتها. أخذت أصرخ وأنا أكاد أموت خوفًا ورعبًا، ماذا حدث؟، أين قدمي؟، أين قدمي؟، ماذا حدث؟، وعلى الفور رفع الكائن قدمي أمامي ومزقها من ملابسي وحذائي العالقين بها، وأخذ يمسكها بيديه الضخمتين ويلتهمها أمامي بأسنانه الضخمة ودمائي تنساب بين فمه. مهما حاولت أن أصف لك شعور الخوف الذي أنتابني حينها لن أستطيع، شعور أن ترى قدمك تمزق وتؤكل بنهم أمامك لم ولن تشعر بشيء مثله أبدًا. اجتاحني الفزع والألم تركت قدمي الممزقة بين فمه وأخذت أحاول الركض، وأنا أصرخ بدون قدم فوقفت على الفور وسقطت مرة أخرى ووقفت وسقطت ثانية، وأنا أتعلق بجميع زجاجات النبيذ حولي أحاول أن أتشبث بها لأهرب من هذا الجحيم، ولكن شعرت بأطرافها تمسك بقدمي المصابة وتسحبني مرة أخرى إليها. نظرت خلفي ماذا تفعل

بي لأجدها تضع مخاطًا غريبًا من أطرافها الإخطبوطية على قدمي، فتوقفت عن الشعور بالألم أو الشعور بقدمي من الأصل. حاولت أن أتعلق بالأرض أمامي، وأسحب نفسي إلى جهة كبير الخدم الذي ما زال يمسك إصابته، وهو ينظر لي بشفقة وعيناه تدمع لأجد أطراف الكائن الاخطبوطية تتخطاني وتتقدم جهة كبير الخدم جهة إصاباته وتلتف حوله، فصرخت عليه على الفور..

"اهرب، اهرب من هنا الآن "

ابتسم كبير الخدم ساخرًا ومخاط وأذرع هذا الكائن تلتف حوله..

"لا تخف لن تقتلني، أنا خادمها.. هي تعالجني الآن، وأنت أيضًا قد قامت بوقف نزيفك حتى لا تموت، أنت وجبتها المفضلة سوف تقتات عليك لعدة أسابيع قادمة وأنت ما زلت حيًا.. "

رغبت بالموت حين سمعت هذه الكلمات.. هل أظل بهذا الرعب والعذاب لعدة أسابيع.. هل سأشاهد نفسي وأنا اوكل لعدة أسابيع.. هل أنا مت بالفعل وأعذبُ بالجحيم الآن..

حاولت أن أصرخ ولكن صوتي كان ضعيفًا للغاية، الخدر يتصاعد بكل جسدي، أشعرُ بالألم الشديد بكل محاولة للحركة أو التحدث، ولكن صوت تحطم عظام قدمي بأسنان هذا الكائن خلفي جعلني أقاوم حتى النهاية، دموعي انسابت من عيني وأنا استجدي كبير الخدم الملقى أمام القبو تجاهي..

"انق.. ان..قذ.. ني، أرجو.. ك، ان.. قذني.. "

ضحك كبير الخدم ساخرًا..

"انقذك.. لقد كنت أحاول أن انقذك منذ اللحظة التي وطأت بها

بقدمك إلى هذا القصر، هذا الكائن الذي كنت تدعوه ببيلا، كائن قديم قدم التاريخ من جنس يقتات على البشر يدعى"الميرمات"نعتقد بأنهن إناث ويلتهمن جميع الكائنات الحية، ولكن أكلتهن المفضلة هم الرجال من جنس البشر. لقد خرجت من عائلة كانت تحاربهن وتصطادهن منذ فجر التاريخ حتى هذه اللحظة، واندثر معظم كائنات الميرمات ولكن مع تناقص أعدادهن كن يكتسبن قدرات أكثر وأكثر، ومنها التخفي بشكل بشري وإلقاء بعض اللعنات واستخدام أدوات سحرية، ولقد كنت عالقًا مع هذا الكائن بحرب طويلة أنا وخمسة من أصدقائي، ونجحنا أخيرًا بحبسها بهذا القصر بعد أن خدعناها، فنحن لم نستطع أن نقتلها لأنها اكتسبت قدرات ومهارات كثيرة، ولهذا أعددنا هذا المكان بهذا القصر عندما كان مهجورًا وأوقعناها بفخنا وأصبناها بلعنة ألا تستطيع مغادرة هذا المكان أبدًا، وظننا أننا سوف نقضي عليها عندما لا تستطيع الخروج من محبسها لتتغذى وحينها سوف تهلك جوعًا بالنهاية. صدقني لقد فعلنا هذا الأمر مع أنثيين من نوعها وقد نجحنا، ولكن هذه قد استطاعت النجاة عن طريق وضعها لعنة علينا نحن أيضًا أنا وأصدقائي بأن نصبح خدمها، ولا نستطيع أن نرفض لها طلبًا، وبدلًا من أن تلتهمنا نحن الخمسة، ومن ثم تهلك بعد ذلك جعلتنا نعمل من أجل تحضير الرجال لها لكي تقتات عليهم، وعلى الرغم من محاولتنا في رفض طلباتها، ولكن اللعنة كانت تُجبرنا على ذلك ما دمت لعنة حبسها ما زالت تعمل فلعنتها أيضًا علينا ستظل تعمل. لقد اتخذت من هذا المحبس وكرًا آمنًا لها من أي صيادين غيري بالمستقبل، وتستمتع

برؤيتنا نحن صياديها نذل أمامها، ونأتي بضحاياها لكي تأكلهم أمامنا. لقد مر على هذا الأمر ٢٠٠ عام كنا لا نتقدم بهم بالعمر بسبب تلك الأشياء التي بمجساتها وتضعها باجسادنا فتطيل عمرنا، ولكننا لسنا خالدين فلقد هلك أصدقائي جميعهم على أيدي حمقى مثلك فعلوا مثل ما فعلت معي بالضبط، ولكن لم تستطع الميرمات أن تنقذهم فهي لا تسطيع أن تخرج من محبسها، ولهذا تعطينا أمرًا بألا نبارح باب القبو عندما يتم إعداد أحمق مثلك ليتم تناوله.. "

لم أعبأ بحديث كبير الخدم نهائيًا كل ما كنت أرغب به هو أن يساعدني بأن يقتلني، كنت أريده أن يبحث عن سلاحي الناري ويقتلني أو ياخذ سيفه ويحاول قتلي من جديد، وهذه المرة سوف أرحب بالموت، ولكن لم أستطع أن أنطق كل ما فعلته هو أن فتحت فمي وظلت سوائله تنساب على الرغم عني. أريد أن أموت، أشير إليه بيدي وأتمنى أن يفهمني، أريد أن أموت، ولكن كبير الخدم الأحمق تابع حديثه دون أن يفهم مقصدي..

"الميرمات اللعينة تلك تنتقي ضحاياها، تحب دائمًا أن تختار رجلًا نحيفًا وتُحوله إلى شخص بدين، ويكون هادئًا مُتزنًا، وتحوله إلى شخص عصبي وعنيف. تحب دائمًا هؤلاء البشر الذين يتحولون من النقيض إلى النقيض. تقول دائمًا ما يكون طعمهم ألذ، وهي فعلت معك كل ذلك، إنها بالفترة الأولى من عملك لا تتواصل معك نهائيًا تراقبك وتشاهد ما نوعية الفتيات التي تحبها، وعلمت أنك تحب الفتيات الصغيرات المستضعفات، وأنك تحب أن تعيش دور البطل الحامي لهن، فقامت على الفور بتقمص هذا الدور لكي توقعك

بشباكها. دائمًا ما كان يحدث هذا، أي موظف جديد أو ضحية جديدة بمعنى أدق يأتي إلى العمل كنت أراه يسرق ويخلتس ويزور المصاريف اليومية التي أعطيها لها فأعلم أنه ما زال بأمأن ولم يقع بشباكها، ولكن عندما أجد الشخص أصبح أمينًا فجأة ولا يسرق أو يُزور قواسم الشراء ودائمًا ما يكون بعجالة لكي يأتي إلى العمل حينها أدرك بأنه قد وقع الفأر بالمصيدة، فأقوم بزيادة جرعات الإهانة اليومية لهم لعل أحدهم يثأر لكرامته وينتصر لها ويترك العمل وأنجح بإنقاذ حياته، ولكن لا حياة لمن تنادي عندما توقعهم بحبالها، فإنهم يتركون كرامتهم عند أبواب منازلهم.."

هكذا إذن، علمت الآن لماذا كان يقوم كبير الخدم بسبي وإهانتي دائمًا، علمت بأنه كان يفعل ذلك من أجل إنقاذي، علمت الآن أن ليس كل من يعنفك يريد أن يضرك ومن الممكن أن يكون ما تراه سيئًا لك هو أفضل خير حدث لك، ولكن علمت كل هذا بعد فوات الأوان. أنا لا أريد شيئًا الآن سوى أن أموت، أريد أن أتخلص من كل هذا العذاب، أرجوك أقتلني، هذا كل ما كنت أريد أن أخبر به كبير الخدم الذي وقف بصعوبة أمام باب القبو وهو يحدثني:"ما يدور بعقلك الآن أن أقتلك أليس كذلك. هذا ما حاولت أن أفعله بالضبط قبل أن تدلف إلى وكر الميرمات، ولكن لم أستطع. أنا ملعون لعنتي تمنعني حتى من قتل نفسي. أنت تعتقد بأنك بالجحيم الآن. صدقني الجحيم الذي تمر به سوف ينتهي بالنهاية، ولكن الجحيم الذي أعيش به بإطاعتها مستمر معي منذ ٢٠٠ عام، ولست أعلم سيدوم لكم قرن آخر. عن إذنك الآن، لقد أعطتني تلك اللعينة أمرًا بأن أذهب لأضع

إعلان وظيفة لضحيتها القادمة"

تحرك جورج كبير الخدم الملعون من أمامي لأجد هذا الكائن يقوم بغلق باب القبو خلفه، ومن ثم قام بلف أذرعه حول جسدي، وقلبني ليجعل وجهي مقابلًا لوجهه، لكي يستطيع النظر بعيني ويُملي نفسه بمشاهدتي وهو يتناولني قطعة قطعة ويتلذذ بمشاهدة الآمي أمامه. فجأة تحرك بزوائده الاخطبوطية جهة يدي، ومن ثم أطبق على كفي الأيمن ومن ثم حطمها بسرعة، وهو ينزعها بعنف وتطايرت الدماء كالمطر أمامي وأخذت أصرخ كالمجنون..

* * *

"اااااااااااااااااااااااااااااااه،"

صرخة رجل يَحتضر، يُعذب، يُقتل، يُؤكل، صرخة جعلت زوجتي تَدفع باب غرفة المكتب وتصرخ عليّ، فأهب واقفًا مفزوعًا، خائفًا.. أصرخ.. "لا تأكليني، لا تأكيلني "

وقفت زوجتي أمامي وهي تتحدث وعليها علامات الذهول والصدمة وتحاول الاطمئنان عليّ. ماذا، زوجتي أين أنا؟، أين هذا الكائن؟، من أنا؟ نظرت لجسدي وإلى غرفتي وإلى زوجتي، لقد عدت إلى ذاتي القديمة، ها أنا كنت أجلس على مكتب أكتب تلك الرواية لدار النشر الجديدة هذه..

زوجتي صرخت عليّ من جديد وهي تتلمس وجهي..

"ما بك يا زوجي الحبيب؟، أنت بخير، يبدو عليك أنك كنت تحلم "

ماذا، أحلم!! أيعني بأن كل ما كنت أمر به بالسابق هو حلم، كيف هذا؟، لقد كنت بجسد شخص آخر ببلادٍ أخرى، لقد كنت أشاطره نفس الأفكار والذوق والشعور، لقد كنت أنام وأستيقظ، أذهب إلى العمل واخالط أصدقاءه وأعداءه، ما زال شعور اللكمات التي اصبت بها على الشاطئ بجسدي، الإهانات التي كنت أشعر بها من كبير الخدم أثارها ما زالت بنفسي، حتى، حتى الرعب والجحيم الذي كنت أمر به منذ لحظات وأنا أوكل من هذا الكائن ما زالت أشعر بها. تحسست قدمي التي تم أكلها ما زالت موجودة، ويدي التي تم نزعها، كل شيء طبيعي، ولكن أنا لست طبيعيًا، ما زالت نفسي محطمة، عقلي مشوش، جسدي مرتعش لا يستطيع أن يحملني. سقطت أرضًا وأنا أبكي مثل الأطفال، أخذتني زوجتي بحضنها، تُحاول تهدئتي،

أطفالي حولي ينظرون لي بشفقة وهم يبكون أيضًا، هم يعتقدون بأني أبكي حزنًا، لم يُدركوا بأني كنت أبكي فرحًا لعلمي بأن كل ما كان يحدث لي هو مجرد حلم فقط، ظللت ابكي، وأبكي وأبكي حتى لم أعد أشعر بنفسي.

لقد عاد وعي تدريجيًا مرة أخرى، شعرت بأني نائم فقمت على الفور فزعًا أخشى أن تكون عودتي لحياتي الطبيعة مجرد حلم صغير، وأستيقظ لأجد نفسي بين أسنان كائن الميرمات من جديد، ولكن حمدًا لله هذا لم يحدث لقد وجدت نفسي على الأريكة، وزوجتي وأولادي نائمين حولي قلقين عليّ. لم أكن أدري قبل تلك اللحظة بأن عائلتي تحبني هكذا. شيء رائع أن تبادل الحب لأحدهم ويبادلك هو الحب بذاته هذا المعادلة دائمًا ما تكون مُعتلة أو مُنقوصة، ولكن عندما تصبح معادلة تامة وصحيحة سوف يهون كل أمر صعب بأيدينا بعد ذلك.

تَنهدتُ ببطء وتسحبت من مكاني بخفة حتى لا أقوم بإيقاظ هؤلاء المساكين يكفي ما ذاقوه من قلق علىّ بالفترة الماضية. ذهبت جهة المطبخ وأنا أشعر بالعطش الشديد.. فتحت الثلاجة وسحبت زجاجة مياه باردة وارتشفت نصفها بفم واحد. تنهدت بنفس بارد مرتاحًا من شعور الارتواء بجسدي، ومن ثم سحبت فمًا آخر، وأعدت الزجاجة مكانها لفت انتباهي وجود دجاجة مطهية أمامي ومخزنة. يبدو بأن هذا نصيبي من الطعام الذي لم أتناوله على الغداء. اقتربت من الدجاجة وحاولت تمزيق قطعة منها، فظهر لي ذكرى تمزيق قدمي من ذلك الكائن والتهامها، فشعرت بالفزع من تلك الذكرى

اللعينة، وابتعدت عن الثلاجة مرتاعًا، فوجدت يدي وباقي جسدي ما زال يرتعش. من المستحيل أن يكون هذا الشعور الذي ينتابني الآن هو شعور حلم. مهما كان الحلم فإن تأثيره يتلاشى مع مرور الوقت، لكن ما أشعر به الآن قد حُفر بداخلي. شعور الخوف المقزز هذا لن يفارقني أبدًا ما حييت. الإنسان لا ينسى شعور المرة الأولى لركوب الدراجة او الذهاب إلى رحلة مدرسية أو السفر إلى الخارج أو ممارسة الجنس للمرة الأولى. هذه مشاعر تظل عالقة بذهنك للأبد، كذلك شعورك بدنو الموت وأن تؤكل حيًا شعور لن اتخلص منه ما دمت على قيد الحياة، أغلقت باب الثلاجة وأنا أحاول طرد تلك الأفكار السوداوية من رأسي، وأقنع نفسي أنه مجرد حلم سيئ وسينتهي تأثيره بالتأكيد. تحركت جهة غرفة المعيشة لأقوم بإيقاظ زوجتي والأولاد لأجعلهم ينامون بغرفهم، ولكن منعني عن ذلك صوت رنة هاتفي، فتحركت جهة مكتبي لأرى من يقوم بالاتصال بهذا الوقت المتأخر لأجد أمامي اسم "دارين راندولف مدير النشر بدار B&H،". شعرت بالاستغراب من اتصاله المُفاجئ هذا، ولكن رفعت الهاتف على أذني مرحبًا.. "كيف حالك يا سيد دارين "

لم يبدِ أي اهتمام لتحيته كالمعتاد منه..

"ماهو رأيك بالقصة التي ستكتبها أيها الكاتب العظيم "

اندهشت من سؤاله.. "قصة؟، قصة ماذا؟!!"

"القصة التي كنت بها هذا اليوم، القصة التي حدثت معك "

شعرت بالصدمة من قوله..

"قصة، أي قصة، أيعقل، أتتحدث عما حدث مع كائن الميرامات.."

أجابني بثقة وصوت ضحكه يُصاحبه..

"بالضبط، مع الذي، لا أعرف.. الذي قلته هذا الآن، ولكن بنسبة كبيرة هو "

"أتعني ما حدث معي هذا، قد حدث لي بالحقيقية "

"نعم لقد حدث بالفعل، ولكن ليس معك بالطبع لقد حدث لشخص آخر، وأنت كنت بحذائه أثناء حدوث ذلك لكي تشعر وتحس بما يشعر به، وتحاول أن تنقل هذه الأحداث المُخيفة والشعور المرعب إلى الورق فيما بعد "

مصدومًا صرخت عليه..

"ماذا تعني بأني كنت بحذائه، هل تقصد بأني كنت بجسد هذا الشخص بالفعل حين ماحدث معه هذا؟!"

"لا بالطبع، كل ما هنالك أنك كنت بشيء، لا اعرف كيف أصفه لك، مثل المحاكاة لأحداث حدثت من قبل ومهمتك أن تقوم بنقلها كما هي بالتفصيل إذا إستطعت، وكل ما كنت متمكنًا من قلمك بوصف الأحداث والشخصيات كما عايشتها كان أفضل "

"ولكن، ولكن كيف تستطيع فعل ذلك، كيف تستطيع فعل ذلك؟!!"

"أنا لا أستطيع فعل ذلك، من يفعل ذلك هو صاحب دار النشر كما أخبرتك، هو لديه ما يشبه القدرات الخارقة كما اعتقد أما أنا فمجرد مدير دار نشر وقح لا غير.. "

فارت الدماء الي رأسي.."أنت.. أنت أيها الوغد.. لقد خدعتني.. هل صاحب دار النشر هذا هو الشيطان ويريد مقابل النجاح أن يستحوذ على روحي، هل هذه قصة فاوستية كلاسيكية "

أجابني ساخرًا..

"هههههههههه، صفقة مع الشيطان، أنا آسف على ما سأقوله هذا يا سيدي ولكن أنا أراه عين الحقيقة. أنا قرأت كثيرًا عن مثل هذه الخزعبلات التي تتحدثون عنها، كيف أنك ستُقابل شيطانًا، وسوف يقوم بإعطائك الشهرة والمال مقابل روحك. هناك أمران أعتقد بهما سوف ينسفان كل تلك القصص من مهدها وأولهما أن الشيطان لن يحتاج الي إقناع الكثير من البشر بهذه الصفقة لأنه إذا ذهب إلى أفريقيا أو أي دولة فقيرة بأي مكان بهذا العالم اللعين، وعرض على هؤلاء المغلوبين على أمرهم أنه سوف يقوم بأخذ ارواحهم مقابل ساعة واحدة فقط من المتعة والعيش برغد، فلن يتردد الملايين بتنفيذ تلك الصفقة في الحال، ولن يجد الشيطان سوقًا رغدًا مثل العصر الذي نعيشه به الآن، فسوف يكون لديه تخمة عظمية من تلك الأرواح المزعومة اذا رغب بهذا. والأمر الثاني أن كل تلك القصص والحكايات تخبرك عن رغبة هذا الشيطان بالحصول على روح البطل، ولكن لم تذكر لنا قط لماذا يفعل ذلك؟، لماذا يقوم بتجميع تلك الأرواح؟ لماذا يقوم بتعب نفسه وخدمة البشر وتحقيق متعهم ورغباتهم ومن ثم يماطلونه عند موتهم على أخذ أرواحهم؟ أنا أعتقد بأن الشيطان هو الخاسر الوحيد بهذه الصفقة. لماذا يكد ويكدح هكذا من أجل حفنة أرواح؟ هل سوف يُبادلهم مع جماعة شياطين آخرين بلعبة بوكر أو قمار مثلًا؟ هل يَتغذى على تلك الأرواح بأي شكل ما... هل هناك أي إفادة له من هذا الأمر بالنهاية؟ وأرجوك لا تخبرني بأنه يفعل ذلك من أجل أن يدخل تلك الأرواح إلى الجحيم..

فهذا ينفي تلك القصص أيضًا فيكفي الشيطان أن يضع وساوسه وافكاره لأي بشري لكي يجعله يقتل او يسرق أو يفعل ما يكافئ أن يدخله الجحيم بالنهاية، واعتقد أن البشر بهذه اللحظة أصبحوا لا يحتاجون إلى الشيطان لكي يحجزوا تذكرتهم إلى الجحيم.. صدقني يا سيدي أنا أتعاطف مع الشياطين بتلك القصص عندما اتابعها كل مرة.. فإنهم لم يفعلوا شيئًا سوى أن قاموا بعملهم على خير وجه، والبشر هم الذين يخدعونهم بكل مرة، أنا لو كنت مكانك أحاول أن أجد مثل هذا الشيطان الأحمق وأتمم صفقته معي فورًا."

شعرت بالحيرة من إجابته وبالمنطق قليلًا إذا تبقى بعقلي أي منطق، فسألته مُحتارًا..

"إذا لم يكن الشيطان، فمن هو صاحب هذه الدار والمجموعة.. وكيف يجعلني أعايش مثل هذه القصص بكل مرة.. "

"إذن أنت تريد أن تعرف من هو فقط؟!"

"نعم اريد أن أعلم من هو.. "

"حسنًا، أنه ليس سرًا، أجلًا ام عاجلًا سوف تعلم بالنهاية، أنه البهادرا العظيم "

مندهشًا..

"ماذا، البهادرا، من البهادرا هذا وكيف يفعل تلك الأمور؟"

"رويدًا.. رويدًا يا صديقي، يجب أن تعمل بوظيفتك أكثر لتحصل على معلومات أكثر. اتصل بي عندما تنتهي من كتابة قصة جديدة، لن أجيب على أي من اتصالاتك قبل هذا "

ومن ثم أغلق الهاتف وتركني بحيرتي وحيدًا شريدًا لا أعلم ما

الذي أوقعت نفسي به..

* * *

ظللت أفكر وأفكر لإيجاد أمر منطقي لما حدث لي. وهداني تفكيري إلى شيء واحد فقط، هؤلاء الملاعين يتلاعبون بي. من الممكن أن يكونوا قد وضعوني بجهاز محاكاة مثل تلك الألعاب الخاصة بالواقع الإفتراضي الخاصة بابني الصغير. لقد قمت بتجربتها عدة مرات وعندما كنت أرتدي نظارات الواقع الافتراضي تلك بالفعل كنت اشعر بأني أنغمس في عالم تلك الألعاب ولو لدقائق، ولكن ما عايشته هو أقوى بكثير من ذلك الإحساس الذي شعرت به مع نظارات الواقع الافتراضي، لا.. من الممكن إذا دخلت إلى محاكاة للواقع الإفتراضي دون أن أعلم بأنها لعبة أو محاكة فسوف يزيدني شعور بأن ما أراه حقيقة. في النهاية الحقيقة هي ما يعتقده العقل حقيقة، حتى ولو كان غير ذلك. لقد كتبت رواية كاملة عن هذا الأمر وأسميتها ألعاب العقل وحققت نجاحًا كبيرًا سابقًا.. إذن الأمر هو هكذا بالفعل، أنا دخلت بمحاكاة، ولكن بجهاز حديث للغاية، فشركة بهذا الحجم وقوة رأس المال من المؤكد بأنهم يمتلكون تكنولوجيا لم تُطرح بالسوق بعد، ومن الممكن أنهم وضعوا عقارات هلوسة أثناء خضوعي لهذا الامر لكي أنغمس بهذا العالم أكثر وأكثر. اللعنة عليهم لقد اعتقدت لوهلة أن ما حدث حقيقي. إنهم يتلاعبون بعقلي لكي يجعلوني أعايش أحداثًا مرعبة وأكتبها بعد ذلك، ولحسن حظ هؤلاء الأوغاد وسوء حظي أنهم قد نجحوا بذلك. ما يشغل بالي بهذا الأمر كله هو جودة صناعة ما حدث بهذه القصة. إن فكرتها عبقرية

للغاية وأحداثها غير متوقعة إطلاقا أنا كاتب ولدي مخيلة واسعة، ولم أستطع أن آتي بفكرة عبقرية مثل التي فعلوها بتلك المحاكاة، ولكن لماذا يريدونني أن أكتبها على الرغم من أنهم صنعوها بالفعل، ألا تكون هذه سرقة، لا ليست سرقة، صاحب الشأن أو هذا البهادرا المزعوم هو الذي يرغب بأن اكتبها على الرغم من أنها قصته. يبدو أنه عبقري مهبول من عباقرة وادي السليكون الذين يمتلكون المليارات ولديهم طموح ليس له حدود، فيجعلون باقي سكان الكوكب وقودًا لاختباراتهم المجنونة تلك. ليس لنا من الأمر شيء لقد عايشنا عصرًا يتحكم به قلة قليلة من البشر يعتقدون بأنهم آلهة لهم الحق ليصنعوا مايشاءون. اااااااااه، بالنهاية أنا مجرد كاتب مجتهد ينتج بمنطقة لا تهتم بالكتابة او الكتاب، لن أغير من الأمر شيئًا فأنا طرف بمعادلة قيمتي بها هي الصفر الصحيح ليس هناك أي تأثير يذكر على أي شيء إلا ثلة من متابعيني المخلصين. لن أتعب نفسي بالتفكير كثيرًا سوف أنفذ لهم ما يُريدون وننتهي. سوف أتحول من كاتب مبدع الي مجرد ناقل محترف، ولكن بالنهاية الفن وحده لا يؤكل عيشًا.. نحن بزمن النقود هي التي تسود. وعلى الفور ذهبت الي الحمام واخذت حمامًا دافئًا، ومن ثم اتجهت إلى مكتبي وأنا أحتسى إبريقًا من القهوة السادة، وأخذت أحاول باستماتة شديدة أن أطرح ولو جزءًا من ألف من شعوري عندما كنت بهذه التجربة اللعينة. أنا أعلم بأنه أمر شبه مستحيل ولكن قوة الكاتب تظهر عندما يجعل القارئ يتلمس ولو جزءًا من هذا الشعور. كنت أكتب بسرعة وبطريقة شبه آلية لا أريد أن أستغرق بالشعور الكامل بهذه

المحاكاة التي عايشتها. لا أريد أن أفكر أين اختبرت هذه المحاكاة ولا متى ولا كيف. عدت إلى منزلي، ونمت على مكتبي ناهيك أن زوجتي لم تخبرني بأني غادرت المنزل من الأساس، ولكن لايهم. سوف أنكفئ على وظيفتي الجديدة، كثرة التفكير لا تفعل شيئًا إلا أن تُدمر البال الهانئ، وتُثير حزن النفوس. الجهل في بعض الأحيان يكون أفضل كثيرًا من معرفة الحقيقة.

❊ ❊ ❊

"الصداقة ليست إلا عادة نابعة من التعود على بعض الآخرين.. فالذي تَعتقده صديقًا ليس بالضرورة أن يراكَ أنتَ صديقًا، بالضبط كما يحدث عندما تَمرُ بالطريق فليس كل مَن يتحرك معك بنفس الاتجاه رفيق"

# (الذين سقطوا مِن السماءِ)

اللعنة، إضاءة النيون البيضاء ساطعة للغاية.. لم أكن أعلم أنها ساطعة هكذا من قبل. أنظر إليها كما أنظر للشمس مرغمًا لأنها فوق رأسي لا تتزحزح. اتقلب يمينًا أو يسارًا، أجد الضوء مُسلطًا إلى عيني.. والصوت.. صوتها المقزز يَطرقُ رأسي بمَطارق من الجحيم.. لماذا لهذه الإضاءات تلك الأصوات اللعينة.. إنها تتداخل مع دقات ساعة الحائط الرتيبة فتصنع لحنًا نشازًا يُضاهي في صخبه أصوات غناء المُراهقين وهم يتراقصون على نقيق المهرجانات المزعج.. ما هذا الضيق والضجر.. من الذي قال بأن المستشفيات صُنعت للعلاج وراحة المرضى.. لماذا لم يخبرونا الحقيقة.. أنه تم صناعة هذه المستشفيات لكي يستشعر المريض أن هذه الحياة لا تُطاق ويَجب الرحيل منها سريعًا.. نعم تلك وظيفة هذه البنايات.. أن تشجعك على الرحيل سريعًا من هذه الدنيا.. فالموت لي أفضل مِن سماع آهات المَرضي المُتألمين لكونهم بدون رعاية طوال الليل أو ضحكات الممرضات ونميمتهن أثناء النهار.. يا ليتني اختفيت مِن قبل مع الذين اختفوا من قبل في صمت وغموض.. تَطلعت إلي الممرضة البدينة القصيرة من خلف ستارة بالية فوق سريري وهي تَلوك قطعة علكة كبيرة بين أضراسها المُتهالكة وهي تُحدثني برتابة..

"ضابط الشرطة قد قدم لرؤيتك الآن.. "

ليَهلَ عليّ مِن خلفها ضابط الشرطة المُبتعث للتحقيق معي، ولم يكن كما توقعته وسيمًا وبجسد رياضي كما يَظهرون في الأفلام والأعمال الدرامية، ولكن كان يحملُ نفس الصفات الجسدية التي يستخدمها المُخرجون في تلك الأعمال لتقديم المُخبرين والمُرشدين.. نظر إلي الضابط بعيونٍ مُتفحصة مُتمحصة وبشاربه الضخم الكث الذي يَجثمُ فوق فمه الكبير.. ثم سحب كرسيًا وجلس بجوار سريري في الحال، وظهر خلفه شاب في منتصف العشرينات بيده دفتر وقلم ووقف بجوارنا يستند على الحائط وأخذ يُدون الحديث الذي دار بيننا.. الذي بدأه الضابط في الحال وهو يُحدثني بصوته الشديد الغليظ:

"نحمدُ الله على سلامتك يا سيدي.. أنا أعلم بأنك مصاب ولم تستعِدّ صحتك بالكامل بعد، ولكني أرغب في أن تمد لنا يد المساعدة في تحقيقاتنا لأنك الوحيد الذي يَزعم أنه يعلم ما حدث في تلك الأحداث الغامضة التي أرقتنا جميعًا، فأرجو أن تشرح لي بالتفصيل الشديد ما حدث معك من البداية."

فبادل الضابط نظره إلى الشاب المُرافق له فتَعلق الشاب في الحال بقلمه وهو مُتحفز كالفارس وهو يحمل سلاحه استعدادا للمعركة. جالت في خاطري العديد من الأفكار.. وترددت للحظات هل أستطيع أن أخبرهم عن هذا السر بالفعل.. ولكن يجب علىّ أن أفعل ذلك لنفسي أولًا لكي أشعر بالارتياح.. فما أحمله من أسرار بين طياتي أرهقني كثيرًا، وجعل النوم يُجافي جفوني لليالٍ طويلة. أخذت نفسًا قويًا من أنفي وأخرجته من فمي، فأخرجت معه الكثير من مخاوفي وقلقي، فتوجهت إلى الضابط ومرافقه وبدأت في حديثي..

"حسنًا سوف أخبركم بكل شيء، ولكن يجب أن تصدقوني ولا تقاطعوني أبدًا، حتى ولو بَدا حديثي غريبًا ومريبًا للغاية.. "

أكتفى الضابط بأن هز رأسه لي وهو يُشير بيده لكي أكمل حديثي، والشاب وراءه يُدون كل ما يخرج من فمي بسرعة الطائر الطنان..

"أعرفكم بنفسي أولًا، أنا شاب في منتصف الثلاثينات.. خريج كلية الحاسبات والمعلومات.. أعمل بتصميم البرامج لأجهزة الحاسب الآلي والهواتف النقالة.. ولهذا كنت أمكث بداخل المنزل لأوقات كثيرة.. أحيانًا تصل لأعوام لا أخرج بها من المنزل.. كانت الإثارة الوحيدة في حياتي في تلك الفترة هي ممارسة لعبة نداء الواجب ودووم وما يشابهها من ألعاب الحاسب، هي التي كانت تدخل البهجة والإثارة إلى حياتي الرتيبة.. وظلت الأمور هكذا إلى أن أتي شهر سبتمبر من هذا العام.. هنا بدأت حياتي تتغير.. فلقد بدأت جميع الأحداث بمكالمة من صديقي المُقرب أحمد فؤاد وهو كاتب روائي مشهور.. حدثني يومها في الهاتف وأخبرني بشيء غريب للغاية. لقد اختفت زوجته أسماء فجأة.. وهنا اندهشت بشدة مما قاله.. لأني أعلم ما مدي حب أحمد لزوجته، وما مدي النجاح في زواجهما الذي استمر لمدة خمسة أعوام.. وطلب مني أن اقابله لكي أساعده في العثور عليها لأني صديقه المُقرب والوحيد الذي يثق به. تملكتني مشاعر القلق والحيرة.. فأنا لم اقم بفعل شيء كهذا في حياتي من قبل، ولن أستطيع أن أساعد أحمد كثيرًا في ذلك الأمر، ولكني وافقت مُرغمًا حتى لا يقال أني تخليت عن صديقي وقت أزمته. تقابلنا في يوم السبت الثالث من سبتمبر على مقهى في ميدان

التحرير.. وبدأ يحكي لي أن زوجته اختفت يوم الخميس السابق دون أي سبب وبدون أي أثر خلفها.. وأنها كانت تذهب إلى منزل والدتها كل خميس في نهاية الأسبوع، ولكنها خرجت في ذلك اليوم ولم تذهب إلى والدتها أو إلى أحد اصدقائها ولم تعُدْ للمنزل.. ولم يُعثر على أي أثر لها في أي مكان آخر.. وأنه منذ ذلك اليوم وهو يشعر بالقلق الشديد عليها وانه لا يَدري ماذا يفعل الآن؟ أو كيف يتصرف؟، وانه يخشى ان يكون قد خطفها شخص ما أو قد حدث الأسوأ وقتلت، فابتسمت له وانا أحاول ان أهدئه وأخبره بأن ما يقوله هو محض هراء.. نظرًا لتأثره بكتاباته البوليسية التي يكتبها.. وطلبت منه أن نبدأ في تقديم بلاغ للشرطة أولًا عن اختفائها، ثم نبدأ في إجراءات البحث العادية المُتبعة، ونبحث عنها في المستشفيات وما شابه.. وبالفعل بدأنا رحلة البحث عن زوجته وبدأت معها قصتنا الغريبة.. فلقد ذهبنا اولًا إلى أحد الأقسام القريبة من منزل أحمد لتقديم بلاغ عن اختفاء زوجته، ولكن وجدنا شيئًا أدهشنا للغاية، لقد وجدنا القسم مُمتلئًا عن آخره وصفوف المواطنين أمام القسم تصل الي ثلاثة أمتار.. فتعجبنا جميعًا مما شاهدنا فسألنا بعض الجنود عن سر هذا الزحام أمام هذا القسم.. ولكن لم نتحصل على أي ردود منهم.. فجميع الجنود والضباط كانوا منهمكين في ترتيب الصفوف والتحدث مع المُبلغين الغاضبين.. وتعالت اصوات الصياح والعراك بين الأهالي وبعضهم.. فتركنا الصف انا وأحمد وتوجهنا إلى أحد الاقسام الأخرى.. ولكننا فوجئنا بوجود نفس المشهد السابق الصفوف الطويلة الضخمة، ولكن بشكل أكبر مما سبق وأقل تنظيمًا..

فأخبرني أحمد أننا سننصرف ونذهب إلى قسم الدقي، لأن له أحد المعارف من الضباط يعمل هناك، ولن نقف في صفوف طويلة مثل تلك التي أمامنا.. وبالفعل توجهنا إلى قسم الدقي في عصر ذلك اليوم لنفاجأ بوجود صف وزحام كبير أمام ذلك القسم أيضًا.. هنا انتابنا الفضول الشديد.. فتلافي أحمد وجود الصفوف أمامه وأخذ يتوجه إلى داخل القسم لمقابلة الضابط صديقه.. ولكن مَنعه الجنود مِن الدخول بالقوة، فصرخ أحمد غاضبًا في الجنود، وبدأ يتعارك معهم لعدة دقائق.. خرج على إثرها بعض الضباط ليشاهدوا لماذا حدثت هذه الجلبة؟، ومنهم كان الضابط الذي يعرفه أحمد.. فنادى علي أحمد في الحال وأدخله إلى القسم، وأنا معه وأجلسنا في مكتبه وتأسف لنا عما فعله الجنود بالخارج لأن القسم يضج بالناس منذ الصباح، فسأله أحمد بفضول شديد ولماذا حدث ذلك الزحام؟.. فأخبره الضابط بأن معظم هؤلاء الواقفين بالخارج قد أتوا لتقديم بلاغات عن اختفاء ذويهم في ظروف غامضة، وجميعهم يتشاركون في أنهم اختفوا يوم الخميس واختفى الجميع بدون أي أثر.. هنا تبادلنا النظرات انا وأحمد ونحن مُندهشون بشدة.. ثم تحدث أحمد إلى الضابط بلهفة:

"وانا أيضًا لقد أتيت اليوم إلى القسم لكي أبلغ عن زوجتي التي اختفت يوم الخميس السابق دون أي أثر"

فهز الضابط رأسه إليه وبدون أي مبالاة أعطاه ورقتين ورقة فارغة وورقة بها صيغة عن البلاغ وأمره أن يملأ الورقة الفارغة مثل الورقة الأخرى، فيبدو أن الضابط قد مر بذلك الأمر العديد

من المَرات في هذا اليوم، وأخذ يملأ أحمد الورقة أمامه والضابط يراقبه في ملل وضيق، بينما بدأ عقلي ينضح بالتساؤلات والفضول.. لقد مررنا بثلاثة أقسام حتى الآن في أماكن مختلفة وكلها ممتلئة بأشخاص يبلغون عن اختفاء ذويهم يوم الخميس السابق. إذن أحمد ليس بمفرده في هذا الأمر.. ماذا يا تري قد حدث هنا؟ هل اختفاء هؤلاء الاشخاص قد حدث بالصدفة؟ بالطبع لا، هل لديهم عوامل مشتركة؟ هل هذا الحدث في القاهرة فقط أم يحدث في اماكن أخرى؟ أسئلة كثيرة ملأت عقلي ونبشت فضولي.. انتهى أحمد أخيرًا مما يفعله، وأعطى الورقة للضابط الذي أخبره بأنه سيهتم بالأمر وسوف يجعل العثور على زوجة أحمد من أولوياته القصوى، ولكننا كنا ننصرف من أمامه ونحن نعلم بأنه لن يحرك ساكنًا في هذا الأمر حتى ولو أراد ذلك.. فبالتأكيد هناك من لديه واسطة أكبر وأكثر نفوذًا من أحمد، وسوف يكون له هو الأولوية والاهتمام الأكبر عند اختفاء أحد أقاربه.. وظللنا انا وأحمد نجوب الشوارع بلا هدى في ذلك اليوم، وانا لا افعل أي شيء سوى أن أواسيه ببضع كلمات صماء فارغة من قبيل..

"سوف نجدها قريبًا.. سوف تكون بخير.. ستعود سالمة.. "..

وهو يتصنع بانه استمع لي، ولكني أثق أن كلماتي تلك لم تصل إلى مسامع أذنه من الأساس.. وانتهي بحثنا في العاشرة مساءً، وعدنا إلى منازلنا.. فألقيت بملابسي في غرفه نومي وارتديت شورتًا صغيرًا، وتوجهت في الحال إلى غرفة المعيشة، وقمت بفتح جهاز الحاسب أمامي هذا اليوم الذي يعتبر هو مركز الأرض في حياتي تلك. لقد

اشتقت إليه وأوحشني للغاية بعد أن ابتعدت عنه عدة ساعات كاملة، وفتحت بعض علب الطعام الجاهزة اللذيذة أمامي، وبدأت التهم منها بنهم شديد وانا أطالع بعض المواقع الإخبارية لأجد معلومات عن عمليات الاختفاء الغامضة تلك.. مرت نصف ساعة سريعًا ولم أجد أي معلومات تُفيدني بذلك الأمر، فتوقفت عن مُطالعة مواقع الأخبار، وتوجهت إلى فتح مواقع التواصل الاجتماعي ثم تركتها قليلًا وقمت بإعادة ملء الأطباق الفارغة أمامي من جديد، وأخذت ألوك ما بها من طعام دسم غير صحي، وشعرت بسعادة بالغة وأنا أشرب المياه الغازية بسرعة شديدة كأنها آخر ما سأبتلعه في هذه الدنيا، وبدأت بمطالعة مواقع التواصل الاجتماعي التي لم تخيب ظني، وبدأت سحابة المواقع تُمطر أخبارًا من هنا وأحداثًا من هناك وظلت تُمطر وتُمطر حتى امتلأ فنائي بأكمله في أربع ساعات.. قد اكتملت فيها عدة نظريات عن عمليات الاختفاء الغامض تلك.. ولقد اكتشفت شيئًا هائلًا في ذلك الوقت حيث اكتشفت أن حوادث الاختفاء تلك لم تحدث في مصر فقط بل كانت حدثًا عالميًا.. هنا بدأ فضولي يكبر ويكبر فنحن الآن أمام حوادث عالمية وليست محلية فقط.. ماذا يحدث؟ لماذا اختفي هؤلاء؟ وكيف اختفوا؟، وأين؟ هل هناك منظمات ما وراء اختفائهم؟ حكومات ما، هل هم الماسونيون ونحن بصدد مؤامرة عالمية؟ هل هم الفضائيون وسكان الكواكب الأخرى ونحن بصدد مؤامرة كونية؟، ولو حدث ذلك وأن أحد هؤلاء هو السبب في ذلك، فلماذا الآن؟ لماذا هذا الوقت بالذات؟ أسئلة كثيرة اختمرت في عقلي ولم أجد لها إجابة.. مرت عدة أيام أخرى كنت

أذهب مع أحمد نهارًا نتصنع انا وهو اننا نحاول العثور على زوجته، وفي الليل أعود لكي أتابع أبحاثي وتساؤلاتي.. وأضع أمام كل نظرية تظهر أمامي على الطاولة كلمة لماذا، لماذا.. ولماذا.. وكلما كثرت النظريات.. كثرت لماذا.. بعد أن انتهيت انا وأحمد من البحث في نهاية يوم الأربعاء.. وقد ضجرت من كثرة اللف والدوران نويت ان أعود إلى منزلي اليوم وأتحجج بأي حجة، واختلق أي عذر حتى لا أشاركه في عملية البحث المملة تلك بعد الآن، لأنها دون جدوى. لا تنظر لي هكذا، أنا لست صديقًا سيئًا.. ولكن لنكن واقعيين.. أشخاص من مختلف الأنواع والأجناس قد اختفوا وببلاد أكثر تقدمًا وتكنولوجية مما لدينا ولم يَستطيعوا العثور على أحد، فكيف سوف نجد زوجة أحمد وهي واحدة من وسط الآلاف من هؤلاء الأشخاص. هذا ما قد اقتنعت به وهداني تفكيري، فأنا اليوم سوف أتوقف عن البحث عن زوجتك يا صديقي، إذا كنت تُحبها فلتبحث عنها إلى آخر العمر بمفردك.. لا يهمني الأمر، لكن لا تشركني في ذلك، وبالفعل اتصل بي أحمد في صباح يوم الخميس وكنت مُهيأ نفسيًا وجسديًا لكي ألقي عليه العذر المحنك لعدم ذهابي معه في عمليات البحث تلك بعد الآن.. قمت بمراجعة جودة الكذبة جيدًا.. ثم قمت بالرد عليه سريعًا:

"أحمد صديقي كيف حالك؟"

ولكنه باغتني بكلمات قليلة مُقتضبة دمرت كل خططي في الحال. صرخ بعلو صوته وبفرحٍ شديد:

"لقد وجدوها.. لقد وجدوها.. أحد معارفي رأتها صباح اليوم

في المول التجاري الذي اعتدنا على التبضع منه، سوف أسبقك إلى هناك الآن، وعندما تصل أخبرني لنبدأ البحث عنها في الحال.. اخيرًا.. اخيرًا سوف أري أسماء مرة أخرى.."

ثم اغلق الهاتف.. بعد ان سمعت نبرة الفرح تلك في صوته قمت ببلع أعذاري وحججي في حلقي، وشربت بعدها كوبًا من الماء الفاتر ثم توجهت إلى غرفتي لأرتدي ملابسي مُتشككًا في كون أحمد قد توصل إلى مكان زوجته فعلًا. لماذا زوجته هي الوحيدة التي ظهرت من وسطِ كل هؤلاء المُختفين؟ كنت مُتشككًا للغاية ومتأكدًا من عدم جدوى ذهابي إلى هناك، ولكني كنت في مواجهه شيء لا توجد أي قوة على الأرض يمكن أن تقف في وجههِ، إنه الأمل.. من يتشبث بالأمل لا تستطيع أن تثنيه عن فعل أي شيء. وبعد أن اعترفت بهزيمة شكوكي أمام آمال صديقي رضخت للأمر الواقع ونويت أن أتابع البحث معه مرة أخرى، وبالفعل ذهبت بعد ساعة بالضبط إلى المول التجاري الكبير، وأخذت أهاتف أحمد وانا أتمعن في المول وزواره جيدًا، وأنا أتساءل كيف سوف نستطيع أن نبحث عن شخص مفقود في وسط هذا العدد الكبير من الناس؟ لم يُجبْ أحمد علي هاتفه واكتفى بأن بعث لي برسالة بأنه سوف يبحث عن زوجته في الأماكن التي كانوا يعتادون بالذهاب إليها في هذا المول، وأنا أبحث بمفردي في باقي الأنحاء. دفعت هاتفي إلى جيبي في ضيق وبدأت أصول وأجول في أنحاء هذا المول العملاق بمفردي بمَحلاته التجارية ومطاعمه ومقاهيه المختلفة.. ظللت أغوص بين رواده كما تغوص السمكة الصغيرة في بواطن المحيطات الكبيرة.

في ظل المشي الكثير بلا هدى سرعان ما تناسيت ما اقوم به من مهام البحث والتنقيب، وتوجه بحثي وتنقيبي إلى الاشياء الأخرى التي تثير اهتمامي كمحلات ألعاب الحاسب ومتاجر الكوميكس والمجلات الهزلية.. وفي وسط تجوالي في الدور الثالث بالمول لفت انتباهي محلًا لبيع العطور.. فذهبت إليه في الحال وصُعقت بشدة عندما وجدت معروضًا في فاترينته الصغيرة عطر "مون دي لا مون"، فهذا العطر كنت أبحث عنه باستماتة ولم أجده من قبل، سعره صحيح ثلاثة أضعاف سعره العادي ولكنه موجود الآن فلا يهم السعر سوف أتحصل عليه بأي طريقة ممكنة. فتوجهت سريعًا لداخل المتجر وابتعته من إحدي الفتيات الفاتنات التي تجعلك تريد الشراء من المتجر فقط لأنك تريد أن تتبادل بعض الكلمات مع تلك الفتاة المَليحة.. وتستطيع أن تحدثها بما يحلو لك من كلام أحمق فارغ، وتلقي عليها الكثير من الدعابات المملة وأنت متأكد انها سوف تضحك عليها حتى الثمالة، دون ان يكون لها الحق في أن تعترض أو تناقش هذا الهراء الذي تتحدث به. ابتعت منها العطر وأجزلت لها في البقشيش، فابتسمت لي بسرور وهمت تمد يدها لتعطيني زجاجة العطر الملفوفة بأناقة.. فانتهزت تلك الفرصة، وحاولت تلمس يدها البيضاء النضرة ذات الجلد الناعم الشبيه بجلد الاطفال حديثي الولادة. هذه فرصة نادرة للغاية أن ألمس يدًا مثل هذه لا تراها إلا بأحلامك.. أو على الأقل في أحلامي أنا.. ثم انا قد دفعت البقشيش من أجل هذه اللحظة، فمددت يدي بسرعة وانا مُتربص لتلمس يدها، ويالها من لحظة تاريخية بالنسبة لي، فلقد لمست يدها

الناعمة بالفعل، ولكن يالا الأسف لم تدم أكثر من ثانية واحدة فقط، ولم يمكني الاستمتاع بها كثيرًا نظرًا لأن زجاجة العطر قد سقطت على الارض وتحطمت في الحال.. نظرت الي الزجاجة المحطمة على الارض أسفل مني مصدومًا، فجثوت على ركبتي لكي ألتقط ما تبقى من الزجاجة المحطمة وأنا غاضب والعطر الفواح يملأ المكان، ويكتم أنفاسي برائحته الخانقة. سيطر الغضب عليّ بشدة، وهممت أن أخرج هذا الغضب على تلك الفتاة الجميلة حتى ولو كنت مسئولًا جزئيًا عن هذا الخطأ، لأن العميل دائمًا علي حق، فوقفت في مكاني في الحال، وأنا عيوني تحمل شرارة الغضب المُسلطة على تلك الفتاة، وملأت رئتي بأصوات صراخي لأصيح عليها بأعلي أنفاسي، لكني لم أجدها أمامي.. شعرت بالدهشة أين ذهبت؟ لقد كانت أمامي حالًا هل ركضت مبتعدة عني لأنها شعرت بالذعر من تحطم زجاجة العطر؟ ولكن متي هربت؟ فالأمر كله لم يتخطَ ثانيتين.. نظرت حولي في أرجاء المتجر الصغير الذي لا يتجاوز الأربعة أمتار، فلم أجد سوى فتاة شابة تبحث حولها في ريبة فسألتها في الحال:

"انا آسف يا سيدتي، لكن ألم تشاهدي بائعة العطور التي كانت امامي"

فهزت رأسها نافية ثم سألتني انا أيضًا:

"ألم تر أنت خطيبي؟ لقد كان يقف بجواري الآن"

نظرت اليها مندهشًا وعدت للبحث مرة أخرى عن البائعة بداخل المتجر، ولكن استوقفتني فجأة صرخة كبيرة سمعتها من الخارج.. فخرجت في الحال لأرى ماذا حدث، لأجد على بعد عدة أمتار من المتجر سيدة تصرخ وهي تبحث حولها:

"ابنتي، ابنتي الصغيرة لقد كانت بجواري. ابنتي، أين ذهبت ابنتي؟"

تجمع حولها بعض المارة ليستفسروا عما حدث، وهي تشرح لهم اختفاء ابنتها وهي تصرخ.. وفجأة تعالت أصوات الصياح والصراخ في قلب المكان..

"أين زوجي؟، أين والدتي؟، لقد اختفي ابني، البائع قد تبخر من أمامي، هذا الشرطي ابتلعته الأرض "

بدأت أشعر بالخوف ينتشر بين رواد المول بأكمله. الجميع يختفي.. من بداخل المتاجر ومن خارجها.. البائعون والزوار على حد سواء.. يختفون فجأة دون أي أثر.. يتركون متعلقاتهم وما يحملون. بدأ الذعر يجتاح المكان وينتشر بين أحاديث المارة الكل مُترقب ومُتوجس. فجأة صرخت امرأة وهي تركض متلهفة تحمل أطفالها بين يديها:

"من سيبقي في هذا المكان سوف يختفي ويموت"

وأصبحت تلك الكلمات المذعورة شرارة الوقود التي أشعلت الرعب بين الجميع. الكل يركض هربًا ليخرج خارج المول.. الجميع يريد أن يهرب هو وعائلته أولًا.. ظل الكل يتصارع علي من له أولوية الهبوط بالمصاعد والركض على السلالم.. فبدأ الرجال في العراك فيما بينهم، وسادت الفوضى.. أصوات الصراخ والعراك تعلو مع أصوات تهشم زجاج المتاجر والمحلات.. فبعض الصبية واللصوص استغلوا حالة الفوضى والهلع وأخذوا يسرقون ما بداخل المتاجر، وهناك أناس عادية.. عادية للغاية عندما وجدوا هؤلاء يسرقون فبدأوا يسرقون هم أيضًا. سادت الفوضى أكثر، وساد الرعب أكثر،

الجميع يختفي ولا تعلم لماذا.. الجميع يهرب فزعًا ولا تعلم لماذا.. الجميع يتعارك ويتقاتل ولاتعلم لماذا. سلب وحرق للمتاجر وللبضائع ولاتعلم لماذا. تغلف المكان بأجواء الجحيم، الأطفال تتساقط على الأرض، تدهسهم أرجل الهاربين بقوة وبدون وعي أو اهتمام.. أصوات أجراس الحريق تدق بعنف وقوة لتزيد الموقف رعبًا وذعرًا.. أنا لم أستطع مقاومة شعور الخوف هذا.. لقد انتقل إليّ من جميع من حولي. لم أكن أعلم أن الخوف ينتقل للبشر كما ينتقل البرد بسرعة هكذا.. أمتصُ بسلاسة شديدة كل صرخة أسمعها وكل فزع يرتسم على وجوه الهاربين حولي يتغلغل داخلي ويهز كياني.. فتحولت أنا مثلهم عضو في قطيع الفزع.. أركض أينما يركضون دون أن أعلم إلى أين أركض.. أصرخ مثل ما يصرخون دون أن أعلم لماذا أصرخ. لقد شعرت بأجساد ناعمة أسفل قدماي دهستها بقوة أثناء هروبي، ولكني لم أشعر بأي ذنب أو اكتراث.. لأني بكل بساطة لم أكن أفكر نهائيًا في تلك اللحظة، لا أعلم ماذا أفعل.. جسدي لا أتحكم به على الإطلاق.. بل ما يتحكم به هذا القطيع الذي أركض معه يركضون لليمين، فأركض معهم يركضون لليسار فأذهب معهم. حتي لو كانوا سيذهبون إلى الجحيم فسوف أذهب معهم، ولكني وجدت نفسي في النهاية خارج المول في أحد الشوارع، ورأيت أحد الأشخاص يركب سيارته مرتاعًا وبدون وعي مني توجهت إليه في الحال ودلفت إلى داخل سيارته بدون أي إستئذان.. نظر لي صاحب السيارة سريعًا ولكنه لم يعبأ بوجودي بل كان كل همه أن يذهب بعيدًا عن هذا الجحيم الذي يحدث الآن. شاهدت عند انطلاق السيارة الناس وهم

يركضون خارج المول بأعداد كبيرة جدًا يبدون كأمواج غاضبة لموجه تسونامي عملاقة يصطدمون بأي شيء أمامهم فيكتسحونه في ثوانٍ. حتى السيارة التي كنت أركبها وعلى الرغم من أن السائق كان يضغط على البنزين تحت قدميه بأقصى قوة وينطلق بأقصى سرعة، ولكن هذا لم يمنع طوفان البشر هؤلاء من أن يصطدموا بنا، وسائق السيارة لم يمنع نفسه مِن أن يصطدم بهم، وأخذ يطرح العديد من الأشخاص بمقدمة سيارته بسرعة وبعنف. لم أستطع أن أتابع تلك المشاهد ومناظر الدماء المتناثرة على زجاج السيارة، فأغلقت عيني لفترة طويلة، فترة طويلة للغاية.. لقد عدت إلى المنزل.. لا أعلم كيف أو متى عدت.. لقد عاد إليّ وعي الآن.. وأنا جالس أمام جهاز الحاسب أمامي أتابع صفحات التواصل الاجتماعي في صباح اليوم التالي. لقد تذكرت بأني لم أتصل بأحمد لكي اطمئن عليه، ولكني لست في حالة الآن تسمح لي بالاطمئنان على أحد. أنا بمنزلي في غرفتي، أمام حاسوبي.. تلك هي المنطقة الآمنة لي التي لا أشعر بالراحة والهدوء إلا بها. بدأت اشاهد بعض اللقطات التي صورت من داخل المول للناس وهي تركض برعب. الآن بعد ان هدأت وعاد اليّ رشدي قد اكتشف ماذا حدث هناك؟.. لقد حدثت موجة جديدة لاختفاء البشر في يوم الخميس بالأمس، مثل الخميس السابق، ولكن هذه المرة كانت موجة الاختفاء كبيرة للغاية، فالولايات المتحدة والصين واليابان وكوريا وروسيا وعدة دول كبير صرحت بأن موجة الاختفاء هذه ضربت كل العالم وتم تقدير من تم إختفاؤهم في يوم الخميس هذا بما يقارب من ٢٠ ألف شخص. عشرون ألف شخص اختفوا

جميعهم في يوم واحد، ومن كل دولة من دول العالم، وبحسبة صغيرة لو إختفي ٢٠ ألف شخص من ١٢٠ دولة إذن عدد الاشخاص الذين اختفوا في ذلك اليوم يقارب ٢,٤٠٠,٠٠٠ إنسان، نعم كما عددت كل تلك الأرقام.. هذا العدد قد اختفى من أنحاء العالم بدون أي سبب وبدون أي معلومة وبدون أي أثر. تملكني الخوف بشدة أن يكون هذا مرضًا جديدًا يصاب به البشر فيجعلهم يختفون.. أنا أعلم بأنه ليس هناك مرض يجعل المرضى يختفون. ما هذا المرض الذي سيجعل المرضى يختفون يوم الخميس؟ أنا أعلم بأني لا أفكر بمنطقية.. ولكن أي منطقية تلك في هذه الأحداث التي حدثت..

مرت عدة أيام بعد ذلك توقفت فيها عن الخروج من المنزل كليًا. حاولت الاتصال بأحمد فؤاد كثيرًا ولكن دون جدوى. كنت أسمع هاتفه يرن دون مُجيب. ظللت علي تلك الحال لما يقارب الأسبوعين لا أخرج من المنزل.. فقط أتابع ما يحدث في العالم من الخارج عن طريق شبكات التواصل الاجتماعي ومحطات التلفاز.. العالم عاش في فوضى كبيرة تلك الأيام، وزادت المشاكل والصراعات في كل مكان، وأنا اكتفيت بمراقبة تلك الفوضى وهي تحدث من بعيد. من داخل مكاني المقدس أمام حاسوبي وعلى أريكتي.. وظلت الامور هكذا حتى أتي يوم الخميس ٢٤ من سبتمبر.. آخر خميس في ذلك الشهر.. في ذلك اليوم بالذات كانت فكرة خروجي من منزلي فكرة مستحيلة، لأن جميع عمليات الاختفاء كانت تحدث كل خميس، وقد تكررت ثلاث مرات حتى الآن، وهذا اليوم بالتأكيد سوف يتم فيه الموجة الرابعة من موجات الاختفاء تلك. جلست مُتحفزًا على

أريكتي أتابع من أمام الحاسب بعض القنوات الخاصة التي كانت تجوب الشوارع في أنحاء العالم لكي تنقل أي حوادث اختفاء تحدث على الهواء مباشرة، وأنا مثل الملايين غيري نتابع هذا الحدث ونحن منتظرون على أحرِ من الجمر. صحيح نحزن عندما نري مشاهد دموع آلام المختفين، ولكن نشعر بالراحة من داخلنا بأن تلك الأحداث المُؤسفة لم تحدث لنا. ظللت أتابع بث القنوات ومُحلليها الحمقى على مضض لمدة ثلاث ساعات مُتواصلة ولم يحدث شيء. قطع حالة الملل التي أصبت بها تلك رنين هاتفي الذي لم أسمع رنينه منذ فترة طويلة، فأمسكته بفضول شديد لقد ازداد أضعافًا عندما رأيت اسم أحمد فؤاد صديقي على شاشته.. لقد اتصل بي أخيرًا بعد أن افترقنا منذ أسبوعين فرددت عليه في الحال وانا سعيد للغاية، ليقاطع حديثي كالعادة بصوته الحاد:

"لقد علمت كل شيء يا صديقي، لقد علمت كل شيء، لقد تتبعتهم، لقد علمت ماذا حدث لأسماء زوجتي ولباقي من اختفوا مثلها. سوف أذهب إلى زوجتي اسماء لأستعيدها، ولكن سوف أعطي لك أولًا ظرفًا اشرح لك فيه كل ما حدث معي، وحل جميع الألغاز والأحداث التي حدثت وحيرتنا جميعًا، سوف أنتظرك بعد ساعة في المقهى الذي نجلس عليه في ميدان التحرير، ولكن لا تخبر أحدًا بلقائنا. أنت الوحيد الذي أستطيع أن أئتمنه علي هذا السر يا صديقي. يجب ان يعلم الجميع ماذا يحدث. سوف أترك لك هذا الأمر لتعرضه للعالم أجمع.. إني أنتظرك.. "

ثم أغلق الهاتف في الحال دون ان يُتيح لي الفرصة لأسأله سؤالًا

من آلاف الأسئلة التي كنت سأطرحها عليه. ألقيت الهاتف بجواري علي الأريكة، وأنا أفكر هل استطاع أحمد فعلًا أن يصل لحل للغز الذي عجزت عن كشفه أعظم العقول في العالم. هل استطاع أن يعلم مكان زوجته بالفعل، أين اختفي كل هذه المدة؟، ولماذا لم يقم بالاتصال بي إلا الآن؟. تراكمت الأسئلة بداخل رأسي وازداد فضولي مع كل دقيقه تمر. أنظر إلى باب المنزل مترددًا، هل أخرج لأقابل أحمد في الخارج في وسط حالات الاختفاء هذه؟ هل أقبل بتلك المخاطرة؟ إن الفضول يكاد يقتلني، ولكن الخوف، الخوف من أن أختفي انا أيضًا إذا خرجت، ولكن على من اضحك، بالفعل هناك الآلاف قد اختفوا من داخل منازلهم ومن وسط عائلاتهم، إذن ليس هناك من ضامن ألا أختفي سواء كنت بداخل او بخارج المنزل.. هذا ما دفعني فضولي لان أقوله لكي أتخلى عن حذري، وبالنهاية انتصر فضولي على خوفي وتوجهت إلى المقهى الذي نجلس عليه دائمًا في ميدان التحرير، ولكم شعرت بالدهشة والحيرة عندما وجدت المقهى يكتظ برواده، وميدان التحرير ممتلئ بالمارة والزوار، ما هذا؟ ان الناس غير خائفين بالمرة وأكاد أجزم انهم غير عابئين أصلًا بما يحدث لهم. شعرت بالاطمئنان بوجودي في وسط هذا الجمع، وظللت أراقب حركة المارة بالشارع وهم يتفادون السيارات المُسرعة بكل مهارة.. وبعض القنوات الفضائية لم تجد ما تبثه غير الحديث مع بعض العابرين وسائقي السيارات، وظللت هكذا لمدة ساعة وأنا مبتسم في سعادة أحاول ان أستشعر من جديد حالة الملل والرتابة التي كنا نعيش بها ولم نكن ندري قيمتها من قبل. اقتربت

الساعة من الثالثة عصرًا ولم يتصل بي أحمد أو يظهر فبدأ القلق يراودني وهممت بالاتصال به لأجده يتصل بي أخيرًا، فرددت عليه في الحال وسألته بفضول:

"أحمد، أين انت الآن، أنا أنتظرك منذ وقت طويل في المقهى كما اتفقنا.. "

جاوبني أحمد بنبرة حزينة:

"لن أستطيع أن أراك مرة أخرى يا صديقي، ان هذا هو الوداع، ولكن قبل ان أرحل سوف أترك لك الظرف الذي اشرح لك فيه ما حدث، سوف اتركه لك مع هاتفي، تركت الظرف والهاتف معهم.. "

شعرت بالقلق من حديثه يجتاح قلبي فصرخت به:

"لما تقول هذا الكلام يا صديقي، فلتخبرني في الحال أين انت الآن؟"

أجاب بكلمات غامضة:

"انظر إلى الأعلى، انظر إلى السماء.. "ثم أغلق الهاتف. شعرت بالاندهاش مما قاله أحمد، فوضعت الهاتف في جيبي ونظرت إلى أعلي كما قال. نظرت إلى السماء.. وتعلق نظري بما رأيت لفترة طويلة جعلت من حولي ينظرون إلى أعلى لكي يُشاهدوا ما أشاهد، ليروا معي أغرب شيء قد تراه في حياتك كلها، لا أدري كيف أصف لك ما رأيناه، ولكني سأحاول. لقد رأينا أشياء سوداء في السماء.. الآلاف من تلك الاشياء السوداء.. على ارتفاع كبير للغاية لدرجة ان حجبوا أشعة الشمس من الظهور للحظات، أحجامهم مختلفة، يبدون كالصلبان.. لا ليست صلبانًا.. إنهم أشياء ليست صلبة.. لديهم أحجام مختلفة بعضهم كبير وبعضهم صغير. يبدون أقرب

إلى أشكال الطائرات الورقية، ولكنها ليست طائرات إنها تهبط من السماء بسرعة كبيرة، وبدأت تتضح لنا الآن.. أشياء سوداء لها ٤ أطراف.. تلك الأشياء بدأت تكبر أكثر وأكثر.. إنها تتضح أكثر وأكثر الآن. لقد اتضحت لي الرؤية كاملة، أنا أراها بكل وضوح، ولكن ذلك ليس معقولًا، ماذا...؟ هل يُعقل؟!! لحظات قليلة، وسقطت بعض تلك الاشياء على حافلة كبيرة بجوارنا.. وصنعت صدمة كبيرة بداخل الحافلة، فحطمت السقف وسقطت وسط الركاب بالداخل، فجفل السائق مما حدث وصعد بالحافلة فوق أحد أرصفة الشارع. ركض رواد المقهى بكل سرعة ليروا ماذا حدث وماهية هذا الشيء الذي سقط منذ قليل، وانا أيضًا ركضت معهم بدافع الفضول أو بسياسة القطيع لست أدري، ولكني ذهبت انا أيضًا، وتطلعت إلى الحافلة، ونظرت إلى ما يحدث بداخلها، وها هي قد تحققت شكوكي فالذي كان ساقطًا من سقف الحافلة كان جسدًا بشريًا لامرأة. نعم امرأة بدينة محجبة ترتدي عباءة سوداء مُلقاة على أرضية الحافلة، والركاب يقفزون صارخين من حولها في خوف وفزع، وبجوار الحافلة علي بعد عدة أمتار ٣ أجساد لأشخاص آخرين مُلقاة علي سور أحد المباني وعلى أرصفتها. إذن ما كان يسقط من السماء الآن هم بشر. نظرت مصدومًا إلى السماء مرة أخرى، وكانت صدمتي شديدة، ففي تلك اللحظة اقتربت من رأسنا آلاف الأجساد المتساقطة من السماء وعلى امتداد بصري. ظللت مصدومًا مشدوهًا لم أستطع ان أتحدث أو أصدر أي صوت إلى ان وجدت الرجل الذي بجواري قد سقط فوق رأسه جسد فتاة فحطمته أسفلها في الحال، ثم رجل يسقط فوق

سيارة بجواري فحطم سقفها بالكامل.. ثم وجدت ٤ فتيات يسقطن أمامي على الأرض فجأة. هالني هذا المشهد بشدة وجعلني أنظر إلى أعلى مرة أخرى، فوجدت جسدين لرجلين يسقطان فوقي، فقفزت في الحال من مكاني، فتعثرت في أحد الأجساد الملقاة على الأرض، فسقطت على الأرض بجوارها. عندما بدأ الناس يدركون ماذا يحدث لهم بدأوا يركضون وهم يصرخون خوفًا من أمطار الأجساد البشرية التي تسقط فوق رءوسهم. الأجساد في كل مكان. تسقط على المباني وعلى السيارات وعلى البشر. أصداء دوي ارتطام الأجساد بالأرض أشبه بدوي سقوط القنابل. تخيل ميدان التحرير في الساعة الثالثة عصرًا وقت خروج الطلبة والموظفين وسيارات الأجرة والملاكي وجميع السكان المُتواجدين بالمنازل والمقاهي يركضون خائفين في جميع الأنحاء بينما تتساقط فوق رءوسهم الآلاف من الأمطار البشرية.. كنت أشعر بأني في خضم حرب تحدث.. فبعض أسقف المنازل والشرف قد تحطمت بجواري وتمازجت أصوات الصرخات والركض ودوي سقوط الأجسام الضخم ليصدر صوت يشبه صوت نفير البوق.. ظللت أفكر للحظات ان هذا هو يوم القيامة. الجميع يركض في اتجاهات مختلفة يصطدمون ببعضهم.. يفتكون بمن في طريقهم يطلبون النجاة، وحين يظنون أنهم نالوها تسقط فوقهم الأجساد البشرية لتحطم أعناقهم في الحال.. لم أدرِ ما كنت أفعل. كل ما شعرت به في حينها أني كنت أركض، أركض في الميدان ذهابًا وايابًا.. أركض في فزع لا اهتدي سبيلًا. فجأة شعرت بشيء كدانة المدفع يسقط على كتفي الأيسر. شعرت في الحال بأن يدي

اليسرى قد بترت من جسدي. نظرت سريعًا إلى ما حدث فوجدت شابًا صغيرًا في عمر ١٥ عامًا قد سقط من السماء وأثناء هبوطه قد لامست قدمه كتفي الأيسر فحطمته، فما بالك لو سقط فوق رأسي. الألم.. الصدمة.. الفزع.. الجنون.. أشاهد ذلك جميعًا، أشعر بها جميعًا، فلم أتمالك نفسي وسقطت على الأرض غائبًا عن الوعي. لا أدري كم مكثت غائبًا عن الوعي، ولكني قد استيقظت بعد ان شعرت بشيء ثقيل يركض على جسدي، فقفزت واقفًا في مكاني في الحال لأجد كل شيء قد انتهى. لا أدري كيف أصف المشهد الذي أراه الآن أمامي، ولكن سأحاول ان أقربه لك. تخيل أنك واقف في وسط ميدان التحرير، وعلى مدى بصرك الآلاف من البشر راقدين على الأرض سابحين في دمائهم بعض البقايا والأشلاء حولك متناثرة.. السيارات مُحطمة وبعضها محترق. البنايات مُهدمة، والدماء تغلف حوائطها البيضاء.. حافلة كاملة مُحطمة بداخل مقهى، وأسفل منه بعض المقاعد بالجالسين عليها. المئات من البشر يمشون في الميدان، وهم يتألمون يمسكون أنحاء من أجسادهم المصابة بأيديهم والدماء تملأ ملابسهم. بعض الأجساد فوق أسلاك الكهرباء والهاتف وفوق أعمدة الإنارة.. مشهد سريالي مَرسوم من قلب الجحيم.. هذا بعض ما أستطَاع عقلي الاحتفاظ به من داخل المشهد في حينها.. ولكن صدقني كان الوضع مروعًا أكثر من ذلك بكثير.. حاولت ان أتحرك فوق هذه الأجساد المُتكدسة فلم أستطع سوى أن أعبر من فوقها إلى جهة أحد الأرصفة وسرعان ما جلست عليه، ولا أعلم لماذا قمت بتحسس هاتفي في جيبي، فتذكرت مكالمة أحمد. إنه

كان يعلم بأن ذلك سوف يحدث، هل يعقل ان تلك الأجساد كانت أجساد الذين اختفوا من قبل؟، فأخرجت هاتفي في الحال وانا أنوي الاتصال بأحمد، فهو الذي يعلم حل ذلك اللغز بأكمله. وجدت شاشة الهاتف محطمة ولكن ما زال الهاتف يعمل ضغطت على زر معاودة الاتصال على أحمد.. وظل الهاتف يرن بدون مجيب. لقد تذكرت بأنه قال لي سوف أترك الهاتف والظرف معهم، هل كان يقصد هؤلاء الأشخاص.. هل هاتفه مع أحد هذه الأجساد.. وبدأت أتصل بهاتفه وانا أدور في أنحاء الميدان وسط هذه الأجساد أبحث عن الهاتف. بدأت بعض جموع الناس تتجمع من جديد وتحاول مساعدة المصابين، وتزيل الحطام والأجساد المُلقاة.. والشرطة ظهرت وعربات الإسعاف انتشرت، وبدأوا يُساعدون الناجين، وانا أشاهد كل ذلك بدون ان أكترث بالدماء التي تُغطي قدمي وتخرج من حذائي، أو من يدي اليسرى التي لا أستطيع تحريكها. ظللت أدور بين الأجساد لفترة طويلة من الزمن حتى ظهرت لي رسالة البطارية منخفضة في الهاتف، فعلمت ان أمل العثور على أحمد أو الهاتف والظرف كان أملًا زائفًا، ولكني فجاة سمعت صوت هاتف يرن من بعيد، فأخذت أقترب وأنا أحاول ان أتفادى الأجساد أمامي حتى وجدت الصوت يظهر من جسد شخص بالقرب مني، فتوجهت إليه ونظرت جيدًا لكني لم أجده أحمد. أخرجت الهاتف من ملابسه، فوجدت اسمي يومض على الشاشة التي كانت محطمة تمامًا. إذن إنه هاتف احمد بالفعل. ظللت أقلب في الأجساد بجوار هذا الشخص حتى أجد احمد فلم اجده، فعدت مرة أخرى إلى جسد الرجل، وقلبت بملابسه

فلم اجد له بطاقة أو أي بيانات تدلني على اسمه أو على مكان وجود أحمد، ولكن وجدت الظرف مغمسًا بالدماء، فأمسكته باهتمام لأجد مكتوبًا عليه اسمي.. ففتحت الظرف في الحال، فوجدت بداخله ثلاث صفحات من الورق الكبير. أخذت التهم بسرعة ما بين سطوره من كلمات، لأطلع على ما فعله أحمد خلال تلك الأيام السابقة وسر هذه الاختفاءت الغامضة، وحل جميع الأسرار والغموض، والسر وراء هذا الأمر بأكمله."

أكمل، أكمل يا سيدي..

"قالها الضابط لي وعيونه يملؤها الفضول الشديد هو والشاب الذي بجواره وهو يُدون كل حديثي باهتمام شديد. لكني، لكني في تلك اللحظة أشعر بالخمول يدب في جسدي. أشعر بالكسل يَجتاح أطرافي، جفوني، جفوني ثقيلة للغاية، تريد ان تغلق بالرغم عني، لماذا، لماذا، لماذا يحدث لي هذا. إني أشعر بالنعاس بشدة، رغم أن النوم جافاني لأيام كثيرة، هل هذا لأني بحت بجزء من السر الذي كنت احمله بين طياتي؟، لا.. لن أستطيع ان اقاوم، عيوني أغلقت، الهدوء يجتاح جسدي، السكينة تتملكني، ان النوم رائع، رائع بشدة، أسمع صوت الضابط وهو ينادي على الممرضة لتجعلني أستيقظ مرة أخرى لأتابع حديثي، ولكن هيهات، فأنا أحاول أن أنام منذ أيام ولم أستطع، وها قد جاءني أخيرًا..

ماذا، انا لست نائمًا، انا مستيقظ ولكن لا أستطيع ان أفتح عيوني أو أتحرك مطلقًا. سمعت عدة أصوات تتحدث بجواري. إنها ليست أصوات الضباط أو طاقم المشفى، من هؤلاء؟، أصوات

صريخ وعراك، صوت طلق ناري، ماذا طلق ناري، ماذا يحدث؟، انا لا أستطيع ان أتحدث أو أن أتحرك، ماذا يحدث...؟!

هنا شعرت بشيء يدلف الي جسدي.. ما هذا...!!!!

اااااااه.. إنه ألم شديد شنيع، ما كل هذا الألم؟، ألم رهيب جعلني أريد ان أقفز صارخًا. كل ذرة من خلايا جسدي تريد أن تصرخ ألمًا، يا الله، ما الذي يَحدث؟، إن الألم قوي لدرجة لا اتصورها. إذا كنت بحالتي الطبيعية فبالتأكيد سوف أغيب عن الوعي من كثرة هذا الألم.. عقلي سيكون رحيمًا بي من هذا العذاب ويغلق وعي نهائيًا حتى لا أعايش هذا الجحيم، ولكن انا مستيقظ وبكامل وعي ولا أستطيع ان أتحرك. عيوني مُغلقة وجسدي كمن انقطعت عنه الكهرباء أشعر بأن الألم يزداد أكثر وأكثر انه يرتفع طوليًا من أسفل بطني إلى أعلى. يا الله، ما سبب هذا الألم الرهيب. شعرت بأن لساني ثقيل للغاية، ولكن استطعت ان أحركه بفمي. جفني ثقيل أيضًا، ولكن لقد شعرت بحركات بسيطة منه. أخذت أتحامل على نفسي أحاول ان أغير مجرى هذا الألم إلى وقود يَدب الحياة بجسدي ولو لوهلة لكي أعرف ماذا يحدث لي، وبالفعل بعد محاولات مضنية وجدت رأسي يُرفع عن مكانه قليلًا، فشعرت بألم شديد مع حركتي، فحاولت الصراخ ولكن لم أنجح استطعت ان أفتح فمي فقط، ولم أستطع ان أحرك لساني. لا يوجد طاقة كافية بداخلي لذلك. حاولت نقل كل القوة التي تبقت لديّ، وتحويلها إلى جفوني، ها هي جفوني تفتح ببطء شديد يُصاحبها ألم رهيب، ألم فوق احتمال أي بشر، واستطعت بالنهاية ان أشاهد ماذا يحدث. الضابط ملقى على الأرض غارقٌ

بدمائه، والممرضة مشطورة لنصفين، والشاب الذي كان بصحبة الضابط رأسه مهشمة ومهروسة. يبدو بأن دماغه قد تحطم بدفع شيء قوي وضخم جهة رأسه فهرسه بباقي رقبته. كانت مشاهد مُخيفة ومُقززة، ولكنها ليست كمشاهدتي لجسدي وهو يفتح امامي. لقد كنت أشاهد رجلًا يرتدي ملابس الأطباء، ويقوم بتمزيق اللحم على جسدي من أسفل بطني صعودًا لرقبتي بيده المجردة. لقد شاهدت أمامي ما بداخل جسدي، قفصي الصدري، خرجت صرخة ضعيفة مني للغاية، صرخة جعلت جزءًا من جسدي الداخلي أمامي ينفجر ليخرج بعض الدماء تغطي وجه هذا الشخص الذي كان يفتح جسدي. هنا ترامى لنظري شخصين آخرين يقفان خلفه. لم أستطع أن أري وجوههم، لم يكن بي أي قوة لكي أرفع رأسي أكثر لأراهم، من استطعت رؤيته بوضوح هو وجه هذا الجزار بملابس الطبيب الذي كان يمزق جسدي ووجهه ممتلئ بدماء أمعائي، وهو ينظر لي ويبتسم، وعيناه اللعينتان تنظران إلى جانبيه. نعم عينه اليمنى واليسرى كانت تنظران إلى جانبيه. لقد أخذ يبتسم ببطء أمامي بوجهه الغريب المخيف هذا، ووضع أصبعه أمام فمه وأخذ يشير لي ان أصمت وهو يبتسم، وعندما فعل ذلك توقف جسدي تمامًا عن الحركة نهائيًا حتى لم أستطع ان أعود إلى وضعي السابق. لقد تخشب جسدي تمامًا، ووجدته يعود لجسدي من جديد وهو يعبث به، وأنا لا أستطيع ان أزيح بناظري عنه وهو يعبثُ بداخل جسدي ولا أستطيع حتى ان أصرخ. كنت أتمنى أن أغلق عيوني حتى لا أشاهد ما يفعله بي ولكن لم يحدث.. حاولت أن أصرخ بكل قوة بداخلي ولم أقدر، وهنا ترامى

إلى أذني صوت ضخم ومخيف خلفي يصيح بي..

"ما يحدث لك الآن بسببك أنت، لقد علمت أكثر من اللازم "

وعلى الفور شعرت بيده وهي تحيط برقبتي من الخلف وتثبت عليها وضغط على أسفل ذقني بسباته اليمنى، وأخذ يدفع ويدفع بقوة وهو يخترق جلد ذقني ببطء وإزدادت قوته أكثر فأكثر. قوة دفع شديدة تتزايد بسرعة عظيمة حتى اخترق أصبعه فكي بأكمله وثقب لساني..

* * *

## "البهادرا.. أكل الخوف"

"ااااااااااااااااااااااااااااه.. لا ...لا ...لااااااااااااا.."

صراخ قوي وحاد أعاد لي زوجتي من جديد وهي بوجه منتقع ظللت أنظر إليها لبضعة ثوانٍ قبل أن يعود لي وعي من جديد، وأتذكر أني بشخصيتي الحقيقية الآن، انا من المفترض الكاتب أليس كذلك؟!

يعني لم أعد هذا الشاب المبالي البدين مهندس الحاسب.. كنت مُتشككًا.. لا أعلم هل أنا هو أم أني بداخل شخص آخر من جديد.. ولكي أقطع الشك باليقين ركضت إلي غرفتي، وزوجتي تتبعني وهي تلاحقني بأسئلة قلقة مُرتابة، ولم أعد إلى رشدي سوى عندما شاهدت وجهي بالمرآة، وتحسست وجهي وفكي هل ما زال سليمًا. فتحت فمي أنظر إلى لساني هل لم يثقب، نزعت عني قميصي وانا أنظر إلى صدري هل فتح؟ هل ما زالت أعضائي بداخلي؟ الحمد لله كان كل شيء على ما يرام.. يبدو بأني كنت بحالة محاكاة مرة أخرى.. جسدي ما زال يرتعش وينتفض من شعوري السابق ولكن على الأقل لم أكن بصدمة عصبية ونفسية مثل التي حصلت لي من قبل.. فلقد اقتنع عقلي بان ما حدث لي لم يحدث لي أنا بل لشخص آخر أنا فقط كنت مكانه لبضعة أسابيع قليلة، وعلى الرغم من معرفتي بذلك إلا ان شعور التعذيب والموت الذي مررت به كاد يُصيبني بالجنون. حاولت أن أتمالك نفسي من جديد تهدئة لزوجتي التي أصبحت بحيرة من أمرها لا تدري ماذا يُصيبني؟ كل بضعة أسابيع أمر بما

يشبه الانهيار العصبي بدون سبب يُذكر. كنت أستشعره بحديثها معي بألايام الماضية باعتقادها أن بي لوثة جنون أو ما شابه، وها هو الأمـر يتكرر من جديد، ولا أعلم كيف أخبرها بأني أمـر بما يشبه مُحاكاة لأن استمر بمواقف مرعبة وخطيرة لم تخطر على رأس بشر. ابتسمت على الرغم عني وأخبرتها بأني مررت بكابوس بسبب نومي، وأنا أكتب على مكتبي، فنظرت إليّ مستنكرة ولكنها لم ترد ان تلح على بسؤالها، فهي تعلم بأني أجلًا أم عاجلًا سوف أخبرها بما يجول في خاطري. إنها تعلمني الآن أكثر من نفسي وتعلم كل خبايا روحي وثناياها، ولكن لا أستطيع أن أخبرها بما يحدث معي فهي سوف تعتقد بأني مجنون لا شك.. فلن يصدق أحد ابدًا ما يحدث معي إن لم يعايشه هو مثل ما عايشته أنا. ذهبت الي الحمام سريعًا وأنا أحمد الله أني استطعت احتباس سوائلي كل تلك الفترة حتى الآن. قدمي ما زالت ترتعد وتئنُ بحملي وجلست بحوض الاستحمام "البانيو"، واحتضنت قدمي بساعدي وتكورت أسفل الماء أفكر بعمق ماذا يحدث معي؟ إذا صدق توقعي بأن ما أمر به هو محاكاة مزدوجة مع عقار هلوسة فهذا يعني بأنهم يستطيعون الوصول لمنزلي بل والأدهـى إلى طعامي وشرابي دون ان أشعر. استحلالهم لحياتي الشخصية هكذا دون رادع أو رقيب لمجرد أنهم تعاقدوا معي بمبلغ مالي ضخم لا يصح بتاتًا. أيضًا تلك القصص التي أحاكيها مرعبة ومؤلمة للغاية ولها تأثير نفسي وروحي علىّ كبير. لن أستطيع ان أستمر هكذا معهم. لا أعتقد أن عقلي سيتحمل مثل تلك التجارب من جديد. يجب ان أقوم بوقفة معهم. سوف أبلغهم بأني أريد ان أفسخ

عقدي معهم، واذا لم يرضوا بذلك فسوف أفاوضهم على كتابة أعمال من تأليفي أنا. لا أريد أن أعايش تلك التجارب من جديد. حسنًا هذا هو أسلم حل لي الآن..

انتهيت من استحمامي، ومن ثم خرجت لأجد زوجتي حضرت لي الطعام، وأخذت تتبسم بوجهي وتحاول أن تخرجني مما أنا فيه. إذا أردت أن أخرج بشيء جيد من كل تلك التجارب السيئة التي حدثت لي بالفترة الماضية فيكفي أن علمت بمدى حب زوجتي لي، وهذا يجعلني أشكر الله على هذه النعمة التي أدخلها بحياتي وتجعلني أثابر على أي شيء من أجل إسعادها. بدأت تناول طعامي بنهم، وحاولت وسط حديثي مع زوجتي جس نبضها.. ما سيكون رأيها اذا تركت العمل لدي دار النشر الجديدة B&h. وما إن طرحت الأمر بشكل دعابة حتى وجدت وجهها تغير على الفور عابسًا، وظلت تعدد لي المزيا العديدة التي أفادتني منذ أن تعاقدت معهم فلقد صعد نجمي من جديد عندما وجدت دار النشر نفذت حملة إعلانية كبيرة بالصحف والمجلات وصفحات التواصل الاجتماعي بانضمامي لهم، وزادت الريفيوهات المادحة لي بكل مكان خاص بالكتب والقراءة، فالتف الجميع حولي من جديد وأتت لي عروض من مكتبات كبيرة وضخمة من أجل حفلات توقيعي وندوات ثقافية كبيرة طلبت مني ان أدير النقاشات بها، وارتفعت مبيعات أعمالي القديمة. هذا على الصعيد المهني، وأخذت تعدد أيضًا كمية الأشياء التي أستطعنا الحصول عليها بسبب المبلغ المالي الكبير الذي قدموه لي، وكيف ان المكيف والتلفاز الضخم والغسالة والثلاجة الجديدة تعمل بكفاءة

أضعاف أضعاف سابقاتها، وما مدى فرحة اطفالي بالنوادي الجديدة التي أصبحنا أعضاء بها بعد ان وفرنا مقدمها الضخم واشتركاتها السنوية، وكيف سنستطيع ان نعيد كل تلك الأموال لهم، وكيف سنخبر أطفالنا بحرمانهم من كل تلك الأشياء المفرحة التي نالوها من اجل ان أترك العمل لدى تلك الدار الجديدة. كانت زوجتي تعلم جيدًا بأن ترك العمل لديهم هو ما يدور برأسي فعلًا، وإني قد اتخذت قراري لذلك ومع سردها لكل تلك الأمور وهي تلقى على مسامعي من جديد، فكان وقعها مختلفًا تمامًا عما كان برأسي وسؤالها الوحيد المنطقي الذي طرحته علىّ هو

"لماذا تريد ان تترك العمل لديهم من البداية؟!! "

لم أستطع ان أجاوبها بجواب مقنع، فانسحبت من المناقشة وأخذت اضحك ببلاهة وانا أخبرها بأن الأمر كله دعابة سخيفة أطلت برأسي، ومن ثم ابتلعت أفكاري بترك العمل لديهم لاستحالته كليًا، وهكذا أطل إلى رأسي ما يفكر به العبيد لدى الرأسمالية العالمية الجديدة وهم يناقشون أسيادهم من أصحاب رءوس الأموال.. لا يجب على العبد التفكير أبدًا في التخلص من العبودية، ولكن كل ما يهمه هو محاولة تحسين شروط تلك العبودية. وهكذا بعد حلول الليل قمت بإمساك هاتفي واتصلت على مدير النشر من جديد، ولم يمر كثيرًا حتى وجدته يحدثني بصوته الخبيث وهو يضحك..

"ماذا حدث...؟.. هل حصلت على قصة جديدة؟!"

ابتلعت ريقي بقلق وتابعت حديثي اليه.."نعم.. نعم سيد دارين.. لقد مررت بالجحيم مرة أخرى"

أجابني ضاحكًا متشفيًا..

"لا أخفيك سرًا بمدى شعوري بالسعادة، لأن ما تمر به لا يحدث لي أنا.. لقد كنت محظوظًا لأني أصبحت مدير نشر وليس كاتبًا.. "

تنهدت بضيق وحاولت ان أتمالك أعصابي ولا أخضع لاستفزازاته..

"كنت أريد ان أتحدث معك بأمر ما يا سيد دارين "

قاطعني بلا مبالاة وبسرعة شديدة: "لا"

اندهشت من إجابته وحاولت ان أتمالك نفسي..

"لا.. تقول لا على ماذا.. ألا تسمع ما بجعبتي أولً؟!!"

"لا.. لن أسمع ولا يهم ما تفكر به أو تريده. أنت لست الكاتب الأول الذي أتعامل معه ويريد أن يغير بشروط تعاقدنا أو يماطل بتنفيذها. أتعتقد لماذا وضعت الإدارة شخصًا حقيرًا وحثالة مثلي بهذا المنصب؟!! من أجل تلك الأمور، لأتعامل مع الحثالة الذين يريدون أن يتهربوا من التزاماتهم مثل ما تُريد الآن"

شعرتُ بالضيق الشديد من إهانته..

"سيد دارين لا تختبر صبري.. أنا أشعر بالغضب الشديد حاليًا، ولا أريد أن أسمع هراءك هذا. إن الأمر بسيط نستطيع أن نتراجع عن تعاقدتنا إذا أردت ورغبت بذلك"

أخذ يضحك ساخرًا بطريقة استفزازية للغاية، وهو يحدثني بصوت مختنق من الضحك..

"انت، انت تريد ان تتراجع عن تعاقدك معنا.. من يسمع حديثك الآن لا يتذكر كيف كنت تقف امام مكتبي بمنتصف الليل وتتمنى أن أقابلك "

"سيد دارين لا داعي لكل هذا الكلام الذي ليس له قيمة، هل

أستطيع ان أفسخ معكم عقدي ام لا؟!"

أجابني بجدية شديدة..

"نعم.. نعم، تستطيع ان تقوم بهذا بأي وقت. نحن لم نكتب عقدًا سويًا من الأصل، فلتعيد فقط النقود التي تحصلت عليها ولن نطالبك بأي شيء آخر، ولن نحاسبك على الدعاية التي صرفت عليك او ما شابه. لا تقلق من جهتنا تمامًا، ولكن"

قال تلك الكلمة وارتعد جسدي على الفور وهو ينطق باقي جملته..

"لكن الذي يجب ان تخشى منه جيدًا هو البهادرا. إنه شخص بمعنى الكلمة حرفيًا.. يتغذى على الخوف.. إن وظيفتك أنت والكتاب زملائك هو أن تنشروا قصصه التي يصنعها ويجمعها بكل مكان بالعالم.. ان تنشروا الخوف بين الجميع.. كلما زادت رقعة من يقرأون أعمالك.. زادت رقعة الخوف لدى الناس، وزادت منطقة غذائه. صدقني أنا أخبرك حديثي هذا من شخص يشفق على الآخر. جميع ما عايشته من خوف من تلك القصص التي كنت بها خلال الفترة السابقة لا تُساوي ابدًا مقدار الخوف الذي شعرت به عندما تلمست حضور البهادرا. لقد كنت أجلس بمكان ما بالغابات بعيدًا عن مكانه بمئات الأمتار وما زلت أشعر برعشة الخوف تصيب جسدي حتى الآن عندما أتذكر هذا الموقف. صدقني.. يجب ان تستسلم للأمر الواقع. أن تنحني للقوة الغاشمة، لن تستطيع أن تقف بوجه تسونامي مهما كنت تمتلك من قوة وعتاد. هكذا هو البهادرا، إنه تسونامي الخوف، حياته تتلخص بصناعة الخوف ليأكله، اخضع للخوف يا صديقي، قم بعملك المطلوب منك، لا تحاول ان تبحث عن المتاعب،

ان تكتب قصص كل هؤلاء التعساء بكتابك، أفضل بكثير من ان تكون قصتك انت هي الملهمة لكاتب آخر بكتابه، أنت سألتني من قبل هل ان البهادرا هو الشيطان، وأجبتك بانه ليس كذلك لأن الشيطان نفسه يخشى البهادرا "

شعرت بالخوف الشديد من حديثه. هل يعقل بأن كل تلك القصص والأحداث السابقة هي قصص حقيقية لأناس حقيقية؟، هل تلك الأشياء المخيفة موجودة بالفعل بهذا العالم؟، هل هناك شيء ما يتغذى على الرعب المنتشر من تلك القصص؟، ما أسمعه الآن لهو شيء مستحيل، لم أخف تشككي هذا وسألت دارين على الفور..

"أتعني بأن كل ما عايشته بالفعل كانت قصصًا لأناس حقيقية، هل هذه الأشياء موجودة بالفعل؟"

ابتسم ساخرًا.. "بل أسوأ من هذا بكثير، والأسوأ من كل ذلك هو البهادرا، أتعلم بأنه هو الكائن الوحيد وسط كل تلك الأشياء المرعبة كلها لا يخفي وجوده؟، حتى الشياطين تختفي من عيون البشر، لكن البهادرا لايفعل ذلك، فهو يعيش ويقتات على رعب البشر.. رعب البشر من حقيقة وجوده، هو لا يمانع أن أتحدث عنه الآن لأنه يتغذى على خوفك حاليًا، إنه يستطيع أن يجابه أي شيء وكل شيء ولهذا لا يخشى أن نعلم بوجوده"

أمسكت رأسي وأن مذهول من حديثه، فسألته مرة أخرى..

"لكن.. لكن القصة التي عايشتها منذ قليل كانت تتحدث عن شخص مصري يعيش بالقاهرة، وهناك أناس يسقطون من السماء، وهذا لم يحدث.. انا أعيش بتلك البلدة وأعلم جيدًا انه لم يحدث.. "

ضحك ساخرًا من جديد..

"لا تقلق.... لن يحدث حاليًا.. ولكنه سيحدث بالتأكيد مستقبلًا.."

مصدومًا مذهولًا صرخت به.. "اتعني انه يعلم ماذا سيحدث بالمستقبل ايضًا؟ "

"الماضي.. الحاضر.. المستقبل.. انا لا أعلم كيف يفعل ذلك ولا يهمني أن أعلم، انا ما يهمني هو أني أعمل لديه فقط. هل تعتقد بأني انا وأنت وأي شخص بكل إمبراطوريته تلك على مستوى العالم لنا قيمة بالنسبة له؟ لا.. نحن مجرد خدم لديه.. خدم يشرفون على تقديم طعامه اليه فقط.. ها.. ما هو قرارك؟، هل ستظل خادمًا معنا، أم ستجرب حظك ونقرأ قصتك قريبًا بكتاب ما؟ "

كلامهم الغريب هذا أرعبني، ماذا ولو كان صحيحًا؟، ماذا لو كان كل ما حدث معي كان حقيقيًا؟، هل إستمر معهم أم أحاول أن أهرب من هذا الجحيم؟ قاطع أفكارى على الفور بصوته المزعج..

"أخبرني بقرارك ليس لدي وقت "

وعلى الفور وبدون تفكير أجبته..

"لا.. أنا معكم.. سوف أكمل الكتاب.. سوف أكمل الكتاب "

تنهد للحظات وتحدث بنبرة صوت بها خيبة أمل..

"خسارة.. كنت أريد أن أقرأ ماذا كان سيفعل البهادرا بك. حسنًا لنؤجل الأمر لوقت لاحق. بعد ما تنتهي من العمل أرسله لي على الفور..اه.. ولا تتردد بالاتصال بي في أي وقت.. أنا أشعر عندما تتصل بي أنت وزملاؤك الكتاب أني مدير سجن وأنتم سجناء.. ياله من إحساس عظيم. إلى اللقاء أيها الكاتب المبدع، هههههههه "

ثم أغلق الهاتف وتركني بمفردي وسط أفكاري المبعثرة، هل بالفعل كلامه صادق؟، هل البهادرا هذا هو صاحب كل تلك الإمبراطورية الإقتصادية العملاقة؟ هل بالفعل يتعاقد مع الكتاب ويشهرهم لتنتشر كل تلك القصص المرعبة ليتغذى على خوف الجميع ويزداد سطوة وقوة؟، هل من الممكن ذلك؟ الأمر معقول، لهذا تعاقد معي بمبلغ كبير للغاية يجعل من الصعب بل من المستحيل أن يرفضه أي شخص، وتلك الشروط الأربعة التي وضعها للتعاقد وثقته بنفسه لعدم وجود عقد من الأساس، كانت كلها من أجل غايته، ان أنشر الرعب بين الناس بين طيات الكتب والحروف.. ماذا أفعل؟، هل أتحداه وأرفض العمل لديه؟، إذا كان شخصًا طبيعيًا ولديه كل تلك الأموال فسيكون من المستحيل الهرب منه، فما بالك لو كان مثلما يقول دارين حقًا، كائن مخيف من خارج تصور هذا العالم. ماذا سيفعل بي؟، ماذا سيفعل بزوجتي وأولادي؟، ما ذنب أسرتي أن يتأذوا بسبب فعلى واختياري؟، لا لايوجد مفر لديّ، سوف أفعل حاليًا كل ما يطلبونه مني. سوف أفعل ذلك من أجل أسرتي، ولكن ماذا عن هؤلاء القراء المساكين؟، ما ذنبهم بأن أتآمر عليهم؟، أن أجعل خوفهم ورعبهم غذاء لشيء مخيف مثل هذا.. انا لا أستطيع أن أتوقف عن كتابة ما يملوه عليّ، ولا أستطيع أن أخبر أحدًا قصتي، فلن يُصدقني بالنهاية، وبذات الوقت لا أستطيع ان أترك القراء المساكين تحت رحمته ليقوموا بتنفيذ خطته، ولكن ليس لي حيلة أو قوة سوى أن أفعل شيئًا واحدًا فقط.. شيئًا واحدًا أريح به ضميري.. شيئًا واحدًا أذكر به نفسي أني قد حاولت.. أنى إذا لم أستطع تغيير اللعبة، فعلى الأقل

لن أكون مشاركًا بها.. سوف أحكي قصتي على لسان أبطالي بكتابي القادم، وسوف أضع تحذيرًا ببدايته ألا يقرأونه، وسوف أضع بظهر الكتاب تحذيرًا ألا ينخدعوا بغلافه ولا يشترونه، وإذا لم يستمعوا إلى نصائحي وأصروا على إتيانه وقراءة أركانه ليس علىّ إذا من وزر، وقد نفذ ما لديّ من عذر..

ولكى لا يكون على أي مأخذ أو أحكام فسوف أسميه بالنهاية..

"هَمسُ الظلامِ "

"تمت بحمد الله"

للتواصل مع الكاتب على صفحة الفيس بوك

https://www.facebook.com/eslamthefighter

# أعمال الكاتب السابقة

* الشماس الجزء الأول"عودة إيواس "
* الشمـــــاس الجزء الثاني "الآلام "
* الشـــــماس الجزء الثالث "الهزيم"
* جـــــــــــهينة "مدينة الغرائب "
* جـــــــــــهينة "شبح المدينة "
* جـــــــــــهينة "كهف الوحوش"
* العـــــــــابث "سجين لاسبانيتا "
* العـابث الجزء الثاني (أصدقاء وأعداء)
* إتـــش ون "حـــــرب البهـــادرا"
* عائلـــــــة حتـــــــــــــحور